ملامح نفوسية جديدة من خلال وصية الشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ) وجوابه على رسالة سالم بن مسعود الحامي:

أ. بشير بن موسى الحاج موسى

رئيس مؤسسة الشيخ عمي سعيد للثقافة والتربية والتراث بغرداية منذ 2012م.

الملخص:

يزخر جبل نفوسة في العصر الوسيط بحركة علمية ثرية وقوية، إذ راجت فيه المدارس العلمية وبرز فيه العلماء والفقهاء الذين عكفوا على التعليم والتأليف، وأسهموا بمصنفاتهم في إثراء رصيد المدرسة الإباضية في الفقه وعموم العلوم، كعمروس بن فتح المساكني، وأبي زكرياء الجناوني، وأبي عزيز الباروني، وأبي ساكن عامر الشماخي، وأبي طاهر إسماعيل الجيطالي، وغيرهم ممن تشهد خزائن المخطوطات بآثارهم العلمية.

ومن ذلك وثيقتان مهمتان لأبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، هما وصيته وجوابه على رسالة سالم بن مسعود الحامي، وهما أثران مخطوطان مكتشفان مؤخرا، ونظرا لأهميتهما من جانب ما يفيدانه من ملامح تتعلق بالجانب العلمي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع النفوسي، وما يتيحانه من أبعاد تتعلق بشخصية صاحبها الشيخ إسماعيل الجيطالي، تأتي هذه الورقة العلمية لتسلط الأضواء على هذين النصين، محاولة سبر أغوارهما للكشف عن الجوانب الجديدة فيهما، باستخدام المنهج التحليلي والاستقرائي.

ومن جوانب أهمية هذه الورقة كونها تعالج نصين جديدين لواحد من أكبر علماء جبل نفوسة والمدرسة الإباضية في المغرب وهو الشيخ إسماعيل الجيطالي؛ بما قدمه من إسهامات علمية غير مسبوقة في الفكر الإباضي.

وسيتم معالجة موضوع الورقة بإذن الله من خلال هذه المباحث:

المبحث الأول: مدخل في العمق العلمي والثقافي لجبل نفوسة.

المبحث الثاني: التعريف بالشيخ إسماعيل الجيطالي وتراثه.

المبحث الثالث: أثر تراث الشيخ الجيطالي في الفكر الإباضي.

المبحث الرابع: وصية الشيخ الجيطالي؛ قراءة تحليلية.

المبحث الخامس: جواب الشيخ الجيطالي على رسالة سالم بن مسعود الحامي؛ قراءة تحليلية.

الكلمات المفتاحية: جبل نفوسة، إسماعيل الجيطالي، سالم بن مسعود الحامي، الإباضية في الحامة، الحركة العلمية في نفوسة.

المبحث الأول:

مدخل في العمق العلمي والثقافي لجبل نفوسة

يُعد جبل نفوسة أقدم موطن للإباضية في شمال إفريقيا، بل إنه أول مركز إباضي بالمغرب، ففي رأس القرن الأول للهجرة رحل الشيخ محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي إلى المشرق بالبصرة فتعلم مدة عند الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت: 145ه)، وبعد رجوعه تصدى للتعليم، ولعل من ثماره بعثة حملة العلم الخمسة المعروفين. وبذلك السبق التاريخي كانت نفوسة محضنا للمذهب الإباضي وفكره؛ نتيجة لانتشار حركة العلم والتعليم.

فازدهر العلم وراجت حلقات مشايخه ومدارسه في جبل نفوسة، وعم كل الشرائح الاجتماعية؛ رجالا ونساء، صغارا وكبارا، عبيدا وأحرارا، حتى بلغ في بعض الأزمنة أنه لا تحتاج فيه قرية إلى أخرى في الفتيا، إلا ثلاثة: إجناون، ويغو، تندميره؛ التي ذاع فيها العلم الشرعي إلى درجة أنه لا تحتاج فيه دار إلى أخرى في الفتوى[1].

ومن ذلك ما وراه الشماخي صاحب كتاب السير أن إماء نفوسة في تلك الأعصار (ق03ه) إذا وردن أو خرجن إلى الحطب لا يرجعن حتى يتذاكرن جميع مسائل كتاب ماطوس[2].

ومن آثار ذلك بروز الكثير من العلماء والمؤلفين عبر القرون، تصدروا المشهد الثقافي والعلمي، فكانوا صناعا للحركة العلمية بمدارسهم التكوينية ومؤلفاتهم العديدة نثرا ونظما، وباللغتين الأمازيغية والعربية. وكان من أقدمهم الشيوخ عمروس بن فتح المساكني وأبان بن وسيم الويغوي وأبو زكرياء يحي الجناوني.

ومن أبرزهم الشيوخ: أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، وعيسى بن عيسى الطرميسي وتلاميذه إسماعيل بن موسى الجيطالي، وأبو ساكن عامر بن علي الشماخي.

ومن المتأخرين الشيوخ: أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، وعبد الله بن يحي الباروني ونجله سليمان باشا، والشيخ علي يحي معمر النالوتي، والدكتور عمرو خليفة النامي.

ولا تزال الآثار العمرانية لمدارس العلماء تعج بها قرى نفوسة القديمة، وإن كانت بكل أسف تئن تحت وطأة الانهيار والتخريب ما يؤثر سلبا على حفظ تاريخ المنطقة ومعالمها الحضارية.

ومن الشواهد الخارجية على رواج الحركة العلمية بنفوسة ووفرة مؤلفات علمائها وجودتها؛ ما صرح به المؤرخ ابن خلدون في معرض حديثه عن مواطن الإباضية في الشمال الإفريقي بقوله: "وكذلك في جبال طرابلس وزناتة أثر باق من تلك النحلة يدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل ذلك، وتطاير إلينا في هذا العهد من

1 – أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**، ص 545.

2 – م، ن. وما طوس هو الشيخ أبو معروف ماطوس بن هارون عالم فقيه من مدينة شروس، استشهد في وقعة مانو سنة 283ه.

تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه مباينة لمناحي السنة وطرقها بالكلية، إلا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة"[3].

قال الشيخ أبو إسحاق اطفيش: "اشتهر علماء جبل نفوسة بطول الباع في العلوم والتأليف، وامتلأت الخزائن في عصور مديدة بمؤلفاتهم في سائر العلوم العقلية والنقلية والرياضية، ما يصح أن يقال إنها أغزر مادة من الأندلس بدون مبالغة"[4].

ومما يدل على ضخامة الإرث العلمي في جبل نفوسة ما ذكره الوسياني والدرجيني عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي النفوسي (ت: 504هـ) أنه إثر مناقشة مسألة فقهية في حلقة أستاذه سعد بن بيفاو النفوسي؛ وهي حكم ذبيحة الأقلف، هل تؤكل أم لا؟ وقال الشيخ: في المسألة قولان، ولم يزد على هذا شيئا. فأراد أبو العباس تحرير المسألة وتحقيقها فانكب على مكتبة مرغنّي في جبل نفوسة، قال: فإذا هي نحو ثلاثة وثلاثين ألف جزء، فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها حينئذ. قال: فلازمت الدراسة أربعة أشهر لم أذق فيها نوما ليلا ولا نهارا إلا فيما بين أذان الصبح إلى طلوع الفجر، فنظرت في أثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب[5].

المبحث الثاني:

التعريف بالشيخ إسماعيل الجيطالي وتراثه

المطلب الأول: اِسمه ونسبه ونشأته

هو إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي أبو طاهر، والجيطالي نسبة إلى قرية "جيطال" إحدى قرى جبل نفوسة الواقعة في الشمال الغربي للقطر الليبي، والتي تقع بين قريتي "أَمْسِين" و "إِينَر" على ربوتين متقابلتين تحيط بهما من جميع الجهات غابات كثيفة من التين والزيتون.

والنفوسي نسبة إلى قبيلة نفوسة، وهي من أكبر القبائل البربرية التي استقرّ الكثير منها في الجبل العظيم بليبيا، الذي سُمّي باسمها: جبل نفوسة.

ونسبه صاحب كتاب "مُؤنس الأحبّة في أخبار جربة" إلى قرية "غريان"، ولم ترد هذه المعلومة في المصادر الأساسية التي ترجمت للشيخ، علما أن مؤلّف "مؤنس الأحبّة" هو محمّد أبو رأس الجربي عاش في القرن 13 هـ. ولا غرابة في انتساب الشيخ إسماعيل إلى غريان أو إلى غيرها من القرى المجاورة، فهو لم يستقرّ به الأمر في بلد معيّن.

3 – ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، 3/ 170.

4 – إبراهيم بن محمد اطفيش أبو إسحاق، **مقدمة تحقيق كتاب الوضع لأبي زكرياء الجناوني**، ص: 08.

5 – أحمد بن سعيد الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، 2/ 445.

ويُستفاد من إشارات أصحاب السّير أن ولادة الجيطالي كانت في السنوات الأخيرة من ق07 هـ، وذلك في قريته "جيطال"، وبها نشأ نشأته الأولى وأمضى أيّام طفولته، وليست لدينا معلومات عن والد الشيخ ووالدته، ولا عن الجو الاجتماعي الذي نشأ فيه، إلاّ أنّنا نستطيع القول بأنّ ازدهار الحركة العلمية ورواجها في جبل نفوسة زمن نشأة الشيخ كانا من أهمّ الأسباب التي جعلته يتّجه إلى ميدان العلم والتعليم، ولا شكّ أنّ ذلك إضافة على التوجيه التربوي والخلقي الذي تلقّاه من والديه أو ممّن كفله.

المطلب الثاني: تعلّمه ومشايخه

كلّ ما يذكره المؤرخون عن تعلم الجيطالي هو أنّه لمّا تمكّن من مبادئ العلم توجّه إلى مدرسة الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطّرميسي (ت: 722هـ) في قرية "مزغورة" للاستزادة من العلم، وكان الطرميسي عالم زمانه في علوم الدين، وفي مدرسته تتلمذ كلّ أقطاب الحركة العلمية والدينية من بعده في جبل نفوسة، أمثال: أبي غالي أبي عزيز بن إبراهيم الباروني، وأبي ساكن عامر بن علي الشماخي، وأبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، وقد كانت حياته كلّها للعلم والتّعليم.

وقد أظهر الجيطالي تفوقا ونبوغا، قال الشمّاخي: "ومن كثرة حفظه أنّه يقرأ ويحفظ كتاب العدل ويَدْرُسُهُ، ويدرس جُمَلَ الزجّاجي في النحو، ومقامات الحريري، وكتاب الدّعائم، والأشعار الستّة، وغير ذلك ممّا يكثر، والعَدلُ في ثلاثة أجزاء".

المطلب الثالث: نشاطه العلمي والاجتماعي

رُزق الشيخ إسماعيل إلى جانب علمه الغزير وحافظته القويّة غيرة وقّادةً على دين الله، وقد ضرب بها أروع الأمثلة في الذّود عن معالم الدّين، وكان سلاحه في ذلك العلم الصّحيح، ووسيلته الكلمة الطيّبة بالتّعليم والأمر والنّهي والوعظ والتّذكير، وقد حملته رسالته المقدّسة هذه إلى أن يعيش طول حياته مُترحّلاً من قرية إلى أخرى ومن قطر إلى آخر، كما أنّ قيامه بواجبه هذا جرّ له متاعب كثيرة من الحُسّاد والجهلة والمُناوئين الأعداء.

ولم تتحدّث المصادر التاريخية عن مراحل مُعيّنة لحياة الشيخ، وكلّ ما تحدّثت عنه هو مواقف له مشهودة قام بها إبراءً لذمّته عند الله تعالى، تارة في جبل نفوسة وتارة في طرابلس وتارة في جربة، وهذا يصور لنا نمط حياة الشيخ التي لم تعرف استقرارًا في بلد مُعيّن، وإنّما كان استقراره مع استقرار الحق.

وثبت مرّة أمره في "فرسطاء من بلاد نفوسة تسعة أعوام، وحملهم على السّبيل المستقيم، فأتاه آت ذكر له أنّ خمرًا عند بعضهم، فخرج إليه في الفقهاء وأهل الصّلاح، فأرسل إليه أهل المتهوم بعضَ الأعراب فردّه، فأراد

الارتحال، فتعلّق به النّاس، فقال: لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحق، ولا آمر ولا أنهى"[6]، "وهكذا انتقل من جبل نفوسة إلى جزيرة جربة"[7].

اشتهر الشيخ الجيطالي بجرأته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحق، وكانت شهرته هذه مزجرة لكثير من السّفهاء عن الاسترسال في سفاهتهم إذا حضر بين أيديهم، بينما كانت للبعض الآخر دافعا للاسترسال في سفاهتهم، ومجرأة على التعدّي على الشيخ وإلحاق الأذى به، ولم يكن ذلك من عامّة النّاس فحسب، بل كان ذلك حتّى من الأمراء والحكّام الذين لا يروق لهم أن يُقام الحق ولا أن يُؤمر به، لما في ذلك من التشويش على سلطانهم. فمن ذلك محاولة حاكم طرابلس اغتيال الشيخ لمّا قدم طرابلس لمهمّة، فكان من كيده أن أطعمه سُمًّا، لولا أنّ الله شفاه منه.

ومرّة جعله أمير طرابلس نصب عينيه، وكان في ظنّه الخائب أنّ الرّجل من المتعالمين المتطفّلين على العلم، فجمع له عددًا من العلماء لمناقشته وجداله، لكن الشيخ كان أغزر علمًا وأقوى حُجّة فأفحمهم. ولم يهنأ بال الأمير حتى أمر بأن يُزجّ بالشيخ السّجن وأن تُصادر أمواله، فكان كما أمر.

ومكث الشيخ ما شاء الله في السجن، حتى اهتدى إلى طريقةٍ كانت السّبب في الإفراج عنه، هي الاتّصال بصديقه أحمد ابن مكّي الحاكم على قابس وجربة، وأنشد فيه قصيدة يمدحه فيها، وبذلك شفع ابن مكّي للشيخ عند حاكم طرابلس فأطلق سراحه. قال الشمّاخي: "ثمّ بعدما خرج رأيت له رسالة ...يعتذر إلى ابن مكّي ويخبره أنّه لا يستحق ذلك المدح كلّه، وذلك من تحفّظه وورعه، وألا يكون كَذِبَ في شعره، وألا يكون من الذين يهيمون في كلّ واد"[8].

ومن شهرة الجيطالي في قيامه بواجب الدعوة وتفانيه فيه أن بعض السّفهاء قالوا عنه: إنّه يُعلّم التُّجار مسائل البيوع المحرّمة، لأنّ كان كثيرًا ما يجوب بين المتاجر في الأسواق يعظ ويُذكّر أصحابها الحلال والحرام من المعاملات.

وهكذا قضى الشيخ إسماعيل حياته داعيًا إلى الحق، يحلّ مرّات من أجل ذلك، ويرتحل مرّات أخرى كذلك، فمن جيطال، ومزغورة، وفرسطاء، وغريان، وطرابلس، وجربة، أو إليها.

المطلب الرابع: آثاره العلمية

تلاميذه: رغم استفراغ الشيخ إسماعيل لكثير من جهوده للتّعليم وجلوسه مدرسا في حلقات العديد من مساجد

6 – الشمّاخي: **السّير**، 558.

7 – علي يحي امعمّر، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة 2 ، القسم 2 ، 110.

8 – الشمّاخي: **السّير**، 557.

جبل نفوسة وجربة ينشر العلم ويُنوّر العقول، فإنّ المؤرّخين لم يتعرّضوا لأسماء الطلبة الذين تتلمذوا عليه، ما عدا طالبًا واحدًا هو أيوب الجيطالي[9]. ولعل النشاط الدعوي للشيخ وتنقّلاته الكثيرة وتقلباته بين البلدان هو ما جعل الطلبة لا يستقرون في التعلم عليه.

تآليفه: عند التأمل في كثرة تنقلات الجيطالي وعدم استقراره يخيل لنا أنه لم تتوفر لديه الظروف الملائمة للتأليف؛ باعتبارها مهمة تحتاج لصفاء الذهن وراحة البال، لكن الواقع كان على خلاف ذلك تماما، فالشيخ قد ترك مؤلفات متميزة وذات إحكام وفي أجزاء، في العقيدة وأصول الدين، وفي الفقه والأحكام، وألّف في الفلسفة والأخلاق، بل وألّف في الحساب والرياضيات، وله قصائد شعرية. وفيما يلي حصيلة ما علمنا به من تآلفيه:

1. كتاب **شرح الأصول الدينية مشتملاً على تلخيص معاني القصيدة النونية**، وهو شرح للقصيدة النونية من نظم الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي، في ثلاثة أجزاء، انتهى من تأليفه في ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الآخر من سنة 730 للهجرة؛ وهو مؤلَّف جليل القدر، حوى غالب المباحث العقائدية، وفصّل الخلاف الموجود فيها بين فرق الأمّة الإسلامية، مُبيّنًا لما عليه الإباضية بالأدلّة والحجج، والكتاب لايزال مخطوطًا، وقد انبرى الباحث أحمد الصوافي العماني لتحقيقه في إطار رسالة تخرجه الجامعي، وأنجز منه بعض الجزء الأول.
2. كتاب **قواعد الإسلام**، وقد انتهى الشيخ من تأليفه يوم الخميس بعد العصر لسبع ليال خلون من شهر شعبان سنة 733 للهجرة، وقد طبع مرتين.
3. كتاب **قناطر الخيرات**، في فلسفة الشّريعة وتزكية الأنفس، انتهى من تأليف أوّل سفريْه في يوم الجمعة لخمس ليال مضين من شهر محرّم سنة 738 للهجرة، وقد طبع عدة مرات.
4. كتاب **مناسك الحج**، في فقه فريضة الحج، تم تحقيقه ولما ينشر.
5. كتاب **الفرائض**، في فقه المواريث، مطبوع.
6. كتاب **حساب قياس الجروح**، في فقه القصاص، مطبوع.
7. كتاب **حساب مسائل البيع والشراء**، في فقه المكاييل والموازين، مطبوع.
8. كتاب جمع فيه **جوابات الأئمّة**، في ثلاثة أجزاء، يوجد مخطوطا غير مكتمل.
9. كتاب ضمّنه **مجموعة من الرّسائل**، لم نقف عليه.

9 – أخذ العلم عن الشيخ إسماعيل قبل رحيله إلى جربة، وبعد رحيله جلس إلى الشيخ عامر الشمّاخي، وبعد تخرجه تفرّغ للتّعليم ونشر العلم. الشماخي، **السير**، ص 562.

10. قصائد شعرية عديدة، منها قصيدة دالية في التّحريض على الاقتداء بالأئمّة والعلماء، طُبعت مع مجموع قصائد بالمطبعة البارونية بمصر بدون تاريخ.

11. **تذكرة النّسيان وأمان حوادث الزّمان**، وهي وصيّته، مخطوطة.

المطلب الخامس: وفاتـه

استقرّ المقام بالشيخ الجيطالي في السنوات الأخيرة من عمره في جزيرة جربة، ولا نعلم بالضّبط تاريخ انتقاله الأخير إليها، وعلى ما ذكره صاحب كتاب "مؤنس الأحبّة " من أنّ الشيخ إسماعيل نزل بجربة واستقبله علماؤها، ثم استقرّ به الأمر بالجامع الكبير، وكان يُدرّس ويُصنّف في المجلس الواحد، فإنّ قدوم الشيخ إلى جربة يكون في العقد الرابع من القرن الثامن الهجري، وقد سبق أن ذكرنا أنّ تأليفه الكبيرة شرح النونية، وقواعد الإسلام، وقناطر الخيرات، ألّفها بين سنتي 730 و738هـ.

انتقل الشيخ إسماعيل إلى جوار ربّه سنة 750 للهجرة، بعدما ترك بصمات خالدة تشهد له على جهاده وإخلاصه[10]. وقد شُيّع جثمانه إلى مثواه الأخير بالمقبرة التي قرب الجامع الكبير بجربة، وقبره بها معروف، رحمه الله ورضي عنه.

المبحث الثالث:

أثر تراث الشيخ الجيطالي في الفكر الإباضي

يتبوأ الشيخ إسماعيل الجيطالي مكانة مرموقة في المدرسة الإباضية، وسبب ذلك ما تركه من مؤلفات قيمة كُتب لها القبول في النفوس، وكانت ذا بركة مشهودة، حيث أقبل عليها الطلبة والشيوخ يتدارسونها ويتعلمون منها، كما يقتبسون منها ويستشهدون بمضامينها، وذلك أمر ظاهر عند أتباع المدرسة مشارقة ومغاربة، وفي مؤلفات الشيخين المتعاصرين أمحمد بن يوسف اطفيش المزابي الجزائري وعبد الله بن حميد السالمي العماني خير شاهد.

ومرجع الاحتفاء بمؤلفات الجيطالي والعناية البالغة بها يعود في نظري إلى جملة من العوامل أهمها:

المطلب الأول: العمق العقدي

عند التأمل في ظروف حياة الشيخ الجيطالي ومواقفه نجد أن الرجل كانت تحركه العقيدة الراسخة في ذاته ووجدانه، فما كان "من أصحاب الكلام المولعين بالنظريات يتفننون في عرضها ويتأنقون في إيرادها؛ وبالمجادلات الفارغة يشغلون بها أنفسهم والناس، ولكنه كان مسلما مؤمنا، ...انتدب نفسه لحمل راية الإسلام

10 – لعل الشيخ إسماعيل كان من ضحايا وباء الطّاعون الذي حصد كثيرًا من أهل جربة، ومنهم الشيخ يعيش بن موسى وكثير من طلبته، وذلك سنة 750هـ، هذا ظنٌّ منّا والله أعلم.

فكان من دعاته المخلصين الذين عاشوه حركة ثم عبروا عنه بيانا"، وابتلي بكيد السلطان ووحشة السجن فصبر حتى عافاه الله، كما تصدى له الجهلة فضايقوه ومنعوه من إحقاق الحق وإنكار المنكر فغادر بلدة فرسطاء التي أقام بها تسع سنوات مؤثرا نصرة دين الله عن ألفة الدار وجمال الحق عن أنس الجار[11].

لقد "آمن إيمانا قدسيا بالعلاقة بين أصول العقيدة وهي الضامرة عنده بالعدل والورع، وبين دنيا قوامها التقوى واحتساب الوعد والوعيد"[12].

لقد كان العمق العقدي مميِّزا لمسلك الشيخ في حياته ومنهجه في التأليف، من ذلك تناوله لعلم العقيدة بأساليب مختلفة، ففي شرح النونية بسط القول فيها بشكل موسع، وفي قواعد الإسلام توخى أسلوب الإيجاز في العرض والاستدلال، وفي قناطر الخيرات ربط القضايا العقدية بالسلوك والأخلاق، وفي عقيدة التوحيد لخص المسائل بأسلوب أدبي موجز فصيح، موجها إياها للناشئة يحفظونها ثم يفهمونها ويعتقدونها[13].

المطلب الثاني: البعد التربوي السلوكي

اشتهر في التراث الإباضي كتاب قناطر الخيرات وامتاز بمكانته المرموقة في حلقات التعليم ودروس المساجد، وشغل حيزا كبيرا من خزائن الأجداد في المغرب والمشرق، ومرجع ذلك ما تفرد به من العناية بالجانب السلوكي والتزكوي، والتركيز على البعد التربوي لمسائل العقيدة والعبادات.

فهو كتاب أقرب إلى التصوف وعلم طريق الآخرة منه إلى كتاب أحكام، موضوعه علم الباطن وطب القلوب ومادة إصلاح الأرواح. ففيه تصوير لمخطط حياة الإنسان المسلم الهادفة والرسالية كما يحددها الإسلام ويوجه إليها دنيا وأخرى، فالكتاب يجمع إلى بيان أسرار العبادات ومهمات مسائلها نظرات قيمة في التربية والأخلاق، ولمحات بارعة في فلسفة التشريع الإسلامي ومنهاجه الذي اختطه لتحقيق السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي[14].

قال الشيخ أبو إسحاق: "وهو من أهم الكتب في تربية النفس وتحليتها بالكمالات الإنسانية وتطهيرها من الرذائل وقبائح الاخلاق"[15].

11 – عمرو خليفة النامي، **مقدمة تحقيق كتاب قناطر الخيرات للجيطالي**، 1/ 14، 15.

12 – سناء مهني الباروني، **قراءة تحليلية نقدية في شرح إسماعيل الجيطالي للمنظومة النونية في أصول الدين**، مقال منشور في مجلة الحياة، ع16، ص 232.

13 – خضير بن بكير باباواعمر، **الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي**، ص 398، 399.

14 – عمرو خليفة النامي، **مقدمة تحقيق كتاب قناطر الخيرات للجيطالي**، 1/ 15 بتصرف.

15 – إبراهيم اطفيش أبو إسحاق، **الدعاية إلى سبيل المؤمنين**، ص 24.

المطلب الثالث: الجانب المنهجي وأسلوب التأليف

تميزت مؤلفات الجيطالي بمنهجية خاصة في تقديم المادة العلمية للقراء، كان فيها مبدعا على غير المعتاد ممن سبقه من المؤلفين في التراث الإباضي، وله في كل كتاب خطة منهجية أبان عنها وسار عليها.

فكتابه قواعد الإسلام صاغه في سبعة أركان، مستأنسا في ذلك بحديث قواعد الإسلام الخمسة وحديث السؤالات السبعة التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة، وهي: الإيمان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، العمرة، المظالم، فهذه سبعة؛ ثم أردفها بركن ثامن في الآداب العامة التي ينبغي للمسلم التحلي بها في مختلف مجالات الحياة. فهذه أركان الكتاب الثمانية، وتتفرع عن كل ركن أبواب، وعن كل باب جمل، وعن كل جملة فصول، وعن كل فصل أقسام، وعن كل قسم مسائل[16].

أما كتابه القناطر فكان بناؤه على أساس واجب التزود بالعلم الضروري المعين على اجتياز مسالك الحياة وطريق التكليف التي لا يخلو طبعها من "المشقة والمخافة وكثرة العوائق وبعد المسافة، من الآفات المانعة والمفازات الشاسعة، والشعاب والأودية والعقبان المؤذية"[17]، فصاغ الشيخ ذلك العلم الضروري في قناطر تعترض طريق المكلف في حياته، وعن ذلك قال: "رأينا أن نرتب عليها قناطر لكي يمكن للسالكين عليها العبور حتى تفضي بهم إن شاء الله تعالى إلى درجات السرور"[18]، في قالب أدبي رفيع، وأسلوب وعظي بليغ، مجلل بآي الذكر الحكيم وهدي النبي الكريم، فتنجذب إليه الأسماع وتلين له القلوب.

وهكذا تميزت مؤلفات الجيطالي بالإبداع في الجانب المنهجي وحسن العرض والتبويب ووضوح خطة التأليف، ما جعلها تحظى بالاهتمام وانجذاب القراء إليها، وبذلك كانت ذات أثر ظاهر في الحياة الروحية للإباضية وفكر أتباعها.

المطلب الرابع: التفتح المعرفي مع الثقة في نفسه والاعتداد بقناعاته

المعرفة بناء وتراكم، يبني اللاحقون على منجزات السابقين، ويستبصر الأواخر بتجارب الأوائل. والمتتبع لمؤلفات الجيطالي يلحظ استفادته من مصنفات سابقيه، سواء كانت من المحيط الإباضي أو من خارجه، فكان منفتحا على المنظومة المخالفة لمذهبه، على منهج "الحكمة ضالة المؤمن"، فلم تؤثر فيه النظرات المذهبية الضيقة ولا العصبيات المقيتة التي خيمت على فكر الكثير من المسلمين بكل أسف. وعن منهجه ذلك يقول الجيطالي: "فاستخرجت العلم النافع من كل كتاب، ولم أهتبل بمؤلفه على خطأ كان أو صواب، ونقلت الحق

16 – بشير بن موسى الحاج موسى، **مقدمة تحقيق كتاب قواعد الإسلام بحاشية أبي ستة**، 1/ ج.

17 – إسماعيل بن موسى الجيطالي، **قناطر الخيرات، قنطرة العلم والإيمان**، ص 03، تح: عمرو خليفة النامي.

18 – م، ن.

المفهوم من بين الشوك والسموم، إذ حجة الله على الإنسان فهم الحق وعلمه من أي لغة سمعها أو لسان"[19].

ويقول: "فاعلم أنه من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله"، لذلك كان الشيخ شديد التحري، همه التقاط الحكمة، دون أن يسوغ لنفسه تضييع بعض الحق أو يتسامح في أصل من أصول العقيدة من أجل ذلك[20]. فلئن كان منفتحا على كتب الغير لكن باعتدال وإنصاف؛ لا يغمط الحق ولا يستنكف عن الأخذ به وقبوله أينما كان ووجد.

ففي كتابه القواعد نجد نَفس كتاب بداية المجتهد لابن رشد، استفاد من عقلانيته ومنهجه في عرض الفقه وتصنيفه، وأحيانا بنفس العبارات، مع إبراز ما يتميَّز به الإبَاضِيَّة.

وفي كتابه القناطر نجد نفَس كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، شكلا ومضمونا إلى حد النقل الواضح الجلي، مع التصرف اللبق والتغيير المحكم غير المخل، وذلك فيما لا يتوافق مع قناعاته الإباضية في مواضيع العقيدة ومسائل الفقه والشريعة[21].

المبحث الرابع:

وصية الشيخ الجيطالي؛ قراءة تحليلية

المطلب الأول: بيانات الوثيقة

توجد نسخة واحدة مخطوطة من وصية الشيخ إسماعيل الجيطالي، وهي بحوزة خزانة دار التلاميذ (إروان)، لمسجد أبي سالم بقصر تاجنينت، العطف، تقع في 03 أوراق، ضمن مجموع به 297 ورقة، يضم عدة عناوين، وموضع الوصية في الترتيب هو 25، وتقع في الورقات 198- 201. وهي في الفهرس الأول للخزانة تحت رقم: 180/ مج38.

ولم يرد في الوصية اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن في المجموع الموجودة ضمنه مواضعُ مؤرخة بين سنتي 1260- 1261ه، وذكرٌ لاسم الناسخ وهو إبراهيم بن باحمد بن سليمان العطفاوي. وللأسف فقد اختفت النسخة الأصلية من الخزانة وبقيت نسخة مصورة منها، حصل عليها الباحث.

والنسخة كما هو ظاهر حديثة وبعيدة زمنيا عن صاحبها الجيطالي في ق 08ه، وبالنظر إلى تاريخ نسخها يتأكد لدينا وجود نسخة أخرى هي الأصل المنسوخ منه، لكن لم يظهر لها أثر فيما نعلم.

19 - الجيطالي، **قناطر الخيرات**، 3/ 566، ط ح.

20 - الجيطالي، **قناطر الخيرات، قنطرة العلم والإيمان**، ص 15 بتصرف، تح: عمرو خليفة النامي.

21 - علي يحي امعمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة2، القسم2، ص 108.

صورة بعض الصفحة الأولى من الوصية:

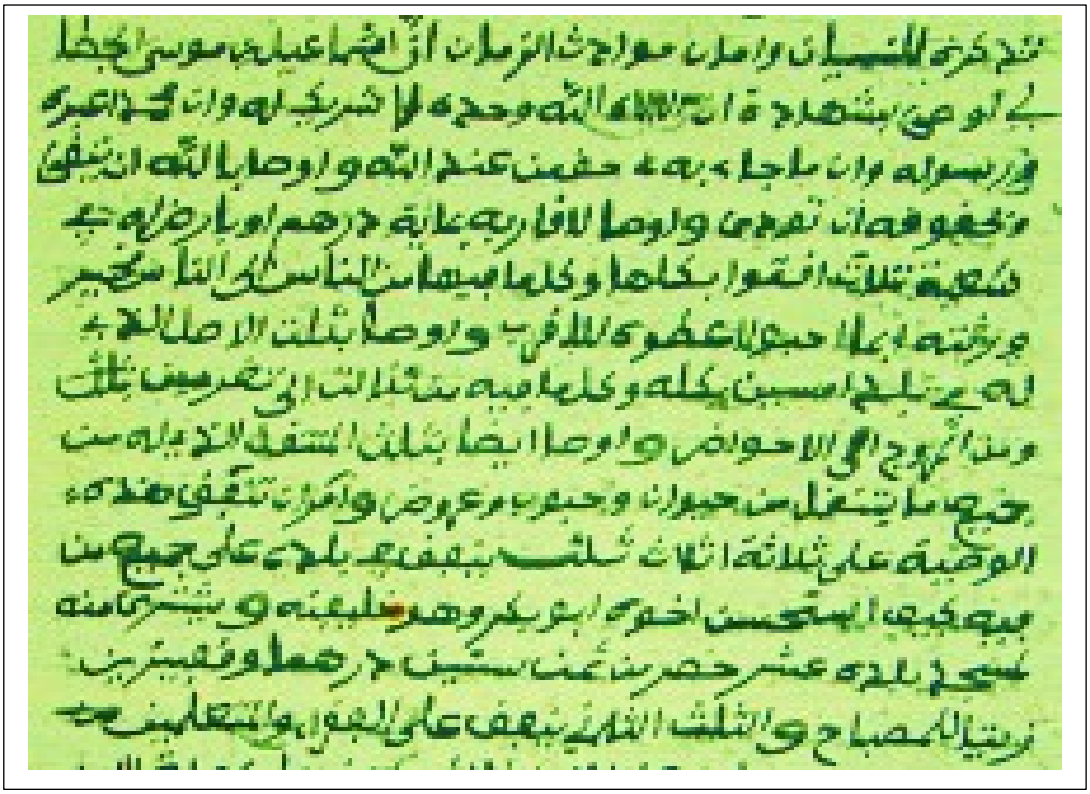

المطلب الثاني: نص الوصية

تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان[22]

إن إسماعيل بن موسى الجطالي أوصى بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن ما جاء به حق من عند الله. وأوصى بالله أن يتقى وبحقوقه أن تؤدى.

–وأوصى لأقاربه بمائة درهم، أو بأرض له في شعبة **تلات انتو** بكلها وكل ما فيها، من الناس إلى الناس[23]، مخير ورثته بما أحبوا أعطوه للأقرب.

–وأوصى بثلث الأصل الذي له في بلد **أمسين** بكله وكل ما فيه، من **تلالت** إلى **تغرمين** ومن المروج إلى الأحواض[24].

22 – أضيفت البسملة في النسخة المعتمدة بخط حديث.

23 – هكذا في مخطوطة الوصية، ولم يظهر للباحث معنى للعبارة، ولعل فيها تصحيف أو سقط.

24 – وقفت في كتاب ترتيب نوازل نفوسة للشيخ أمحمد اطفيش (مخطوط) على عبارة مشابهة ولم يظهر لي تبرير ذلك، ونصها (ص: 133): "وإذا أراد أن يوصي له بمثل نصيب أحد بنيه فلان، فليفرق بين الأصل وغيره لتمكن له الشهادة، لأنه إذا جمعهم فلا تمكن

–وأوصى أيضا بثلث المنتقل الذي له من جميع ما ينتقل من حيوان وحبوب وعروض، وأقرّ أن تنفق هذه الوصية على ثلاثة أثلاث؛

- ثلث ينفق في بلده على جميع من فيه كيف استحسن أخوه أبو بكر وهو خليفته، ويُشترى منه لمسجد بلده عشر حصر من ثمن ستين درهما وقفيزين زيتا للمصباح[25].
- والثلث الثاني يُنفق على الفقراء والمتعلمين عامة من جميع الناس.
- والثلث الثالث يُنفق على كفارة الأيمان؛ أيمان مغلظة وأيمان مرسلة.

ويُخرج من هذه الوصية مائة دينارا مما عليه من المعروف يُنفق على الفقراء المتعلمين وغيرهم. ومائة دينار احتياطا للزكاة، والبقية ينفق أثلاثا كما قدمنا.

ويُخرج من هذه الوصية عشرون درهما لمسجد **مصغورة**؛ تشترى زيتا للمصباح وحصرا أيضا.

–وأقرّ أن لامرأته **الشروسية** في ذمته سبعمائة درهم غير الصداق، باعهم من كسبها، تأخذهم وتحاللله في جميع ما أكل من مالها وفرط من حقوقها.

–وأقرّ لـ **تخلفين بن أحمد الجناوني** بدينار كبير.

–وأقرّ لـ **عيسى بن عسكر** بستين درهما يأخذهم ثم يحاللله.

–وأقرّ لـ **سعيد بن أحمد بن ولوزن** بدينار كبير.

–وأقرّ لـ **عبد الواحد بن نصر الجطالي** بخمسة عشر وبية شعيرا، يتم له القفيزين من وصيته.

–وأوصى بشعير المعروف وزيتون المعروف الذي في **قصر يدموح**؛ الشعير في حوض والزيتون في حوضين كبيرين. وأربعة أقفزة في **غرفة معيز بن سالم** في **قصر توكيت**. والباقي في **غرفة يدرج** وفي **غرفة معيز** إنما هو له. وأوصى بالمعروف أن ينفق على الفقراء والمتعلمين.

–وأوصى أيضا بالمال الذي عند **يوسف بن يونس** من المال المجموع برسم الدفع عن المذهب[26]، والدراهم التي هي ثمن الشعير على **مقرين** الذين اشتراهم من **ككله**؛ كل هذه للمعروف؛ ينفق على الفقراء ويُعطى لـ

له الشهادة على ذلك، ولكن إذا أراد أن يوصي له فليقل: أوصيت لفلان بن فلان أن يرث من أصلي إذا مت؛ بكله وكل ما فيه من لالت إلى تغرمين ومن المروج إلى الأحواض بمثل ما يرث منه فلان ابني إذا مت بكله وكل ما فيه من لا لت إلى تغرمين ومن المروج إلى الأحواض، وبذكرهم مرتين هكذا تجوز الشهادة، وإذا أراد أن يوصي له بغير الأصل فليقل: أوصيت لفلان بن فلان أن يرث من مالي إذا مت، مثل ما يرث فلان ابني من مالي إذا مت. قال الشيخ عن أبي زكرياء فإن بلغ الخبر عند الحاكم قبل أن يكون الإنكار من الورثة فيحكمه له، وأما بعد الإنكار فلا تمكن له الشهادة ".

25 – القفيز اسم مكيال سيأتي تفصيل عن مقداره.

26 – وردت في الوصية هذه العبارة مرتين "المال المجموع برسم الدفع عن المذهب"، ولعله مال أشرف على جمعه الموصي لسبيل الرد على سمعة المذهب، والله أعلم.

يوسف أربعة دنانير كما ذهب لعناء خدمته فيه.

-وأوصى بكتبه أن تحبّس للقراءة؛ لا تورث ولا تباع.

-واعلم يا أخي يا **أبا بكر** أن غنمي عند المرابط **هرماس بن أخي علي بن سريره**. وغنمي عند **النفاثي من بني فتا** ذهب عني اسمه، و**مقرين** يعرفه. وعَناق مشتركة مع **جميل بن مخلوف المجدلي**[27]. وعبوري مشتركة مع **سليم التلاتي**[28]. والنعاج التي بيني وبين **سعيد بن يحي** تعرفها؛ الله الله أخرج عني أربعة نعاج لزكاتها وأعطيهن لـ **تيتس**، ثنتان منها احتياط.

-ولي على **ركنيما من أولاد راشد** مائة درهم؛ من بيع ثلث الجمل وشراء الجمل.

-ولي على **سالم النفاثي المازوري** مائة وعشرون درهما.

-وعند المقدم **يفاو بن جميع** ثلاثون وبية شعيرا، قد أجاب **النفاثي** يعطيهم لي ويقبضهم لي **يفاو**، ولا أدري أقبضهم منه أم لا، فإن قُبض شيء فخذه، وإلا فخذه من **النفاثي** مائة وثمانين درهما[29].

-وعند **يخلف المحجل** عشرة دراهم أو تسعة؛ ما أعطاك فخذه.

-ولي على **تيتس** مائة درهم؛ فاتركهم لي من زكاة مالي.

-ولي عند **محمد بن عبد الله بن ملاعب الجطالي** ستون درهما من قبل بيع الدابة وابنها.

-ولي عند **عمر بن أبي زكرياء بن محمود** الساكن في **تارديت** ثلاثة دنانير ذهبا واقريب من أربعين درهما، نفذتهم له يكتالهم لي شعيرا أول الصيف عام أول سبعة. وأربعين دينارا دراهم سكية اكتالهم لي شعيرا وخزنهم في غرفة **معيز بن سالم** في **قصر توكيت**.

-ولي على **أحمد بن مرداس** عشر ويبات قمحا من ثمن الفرس التي بيني وبينه[30].

-ولي على **مقرين بن مامد** مائة وأربعون درهما من ثمن الشعير من المال المجموع برسم الدفع عن المذهب.

-ولي عند **إبراهيم بن سليمان بن يانجانس الجناوني** اثنان أو أربع وسبعون أو ستون وبية قمحا مودعة عنده، الشك مني، ولكن ما أقر به فخذه منه.

-وأولاد **عمنا يونس** طيب نفوسهم في الجس وخذ منهم الثمن، وإلا فخذ نصيبي من الجس[31].

---

27 – العَناق أنثى المعز.

28 – لم يتبين للباحث معنى كلمة عبوري، والمتبادر من السياق أنها اسم لشيء من الأنعام.

29 – في النسخة المعتمدة: (ولا فخذه النفاثي).

30 – الويبات جمع ويبة وهي اسم مكيال وسيأتي تفصيل عن مقداره.

31 – لم يتبين للباحث معنى كلمة الجس، والمتبادر من السياق أنه اسم لغلة شيء من المزروعات.

– وأعط لـ **عيسى بن هارون بن الحاج موسى التنطني** ثلاث وبيات شعيرا.

–الله الله يا أخي في كتب الناس التي هي عارية عندي، منها ما هو لـ **الحاج أبي نصر التملوشائي وشركائه**، فتش كل كراسة وُجد عليها اسمه فأعطها إياه، وما لم تجد اسمه فاطلبه أن يصدقه عليّ ويحاللني، لأني لا أحصي جميع كتبه.

ومنها كتاب الصلاة، وكتاب النقاش، وكتاب أصول الفقه، فيه حرق النار، هم الثلاثة لـ **موسى بن أبي سعير اللالوتي**.

ومنها كتاب تمعلقين، وكتاب رق وفيه كراسات في أخبار صفين ويوم الجمل، وكراسات في الميراث تنسب إلى أبي النجا، هذه لـ **أولاد أبي بكر أخي عمنا أبي عزيز من أولاد أبي هارون**.

ومنها كتاب فيه تفسير البقرة وآل عمران، وكتاب فيه أخبار موسى والخضر عليهما السلام، وهم لـ **أبي القاسم الفساطوي**.

ومنها كتاب تأليف عمروس، وكتاب رسالة الوارجلاني، وكتاب فيه تفسير من آل عمران إلى المائدة، وكتاب فيه تفسير من طه إلى الشعراء، وكتاب فيه أخبار البرامكة وهو صغير، كل هؤلاء لـ **موسى بن نوح الفساطوي**.

وكتاب فيه حساب خط الرمل، وكتاب صغير فيه أشعار وأحاديث؛ أوله فيه قصيدة تنسب إلى علي بن أبي طالب وآخره قصيدة عمنا أبي نصر الملوشائي، وكتاب رق فيه مسائل أهل المشرق، وكراسة فيها مخاطبة النعمان لكسرى، وكراسة فيها وعظ، هؤلاء كلهم لـ **يحي بن الشيخ الجناوني**.

ومنها ستة لـ **أولاد سليمان بن نفاث**، ولي عندهم كتاب تفسير الخمسمائة آية.

ومنها كتاب ابن جعفر، وكتاب الرسائل، وكتاب الغزالي، هؤلاء لـ **محمد بن الشيخ بن إبراهيم من أولاد هارون**.

ومنها كتاب لـ **أولاد عمنا سليمان بن الشيخ**.

وغير هؤلاء من الكتب نسيتهم، ولكن كل كتاب وُجد عليه اسم صاحبه فليدفع له، وإن لم يوجد اسمه فمن سماه أو أتى بعلامة تبينه فليدفع إليه.

ومنها كتاب التفسير عن مجاهد تأليف الهواري؛ كامل. وكتاب النكاح. وكتاب آخر للوعظ، هؤلاء من جهة عمنا **مامد الملوشائي**، قال لي هم للأجر.

ومنها كتاب الحضرمي لـ **عبد العزيز بن حبيب الجناوني**. الله الله في كتب الناس؛ أعطيهم واطلب لي المحاللة.

واطلب لي الجماعة من **جيطال** و**تمزدا** و**مصغورة** المحاللة على كل حال.

واعلم أني كتبت الوصية مرارا؛ فإنما هي وصية واحدة، ولكن كررتها في الكتب لئلا تتلف، وهذه فيها إقرار بمالي وما عليّ. والله أعلم. تمت الوصية.

المطلب الثالث: نسبة الوثيقة للجيطالي

في الوثيقة العديد من القرائن التي تثبت نسبة الوصية للشيخ إسماعيل الجيطالي، منها:

- التصريح الوارد في مستهل الوصية بنسبتها إليه ونصه: "إن إسماعيل بن موسى الجطالي أوصى...".
- تغطية موضوع الكتب وعناوينها والوصية بإرجاع المستعار منها لأصحابها لحوالي ثلث حجم الوصية، ما ينبئ عن أن صاحبها شخصية علمية بامتياز، وهو ما ينطبق على شخصية الشيخ إسماعيل الجيطالي.
- ورود ما يفيد علاقة الموصي بالشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي الذي كانت حياته في ق 07هـ، وهو من أشهر علماء جبل نفوسة، ولعله قد حصلت بينهما معاصرة في آخر حياة الملوشائي الذي هو من الجيل السابق للجيطالي، ولو أن ذلك احتمال ضعيف، ففي عبارة الوصية: "منها ما هو لـ **الحاج أبي نصر التملوشائي وشركائه**، فتش كل كراسة وُجد عليها اسمه فأعطها إياه، وما لم تجد اسمه فاطلبه أن يصدقه عليّ ويحاللني، لأني لا أحصي جميع كتبه"، ومما يضعف الاحتمال تعبير الموصي بعبارة **الحاج أبي نصر**،

على غير تعبيره في موضع آخر بعبارة **عمنا أبي نصر** الملوشائي[32]. على أنه لا تخفى العلاقة بين الشخصيتين فقد سبق أن من تأليف الجيطالي شرح للمنظومة النونية لصاحبها الملوشائي.

المطلب الرابع: زمن كتابة الوصية

لا يظهر من عبارة الوصية بوضوح ما يفيد زمن كتابتها، لكن عند الاستئناس ببعض القرائن الواردة فيها يمكن الوصول إلى مقاربة زمنية لذلك، فمن ذلك:

ختم الموصي وصيته بقوله: "واعلم أني كتبت الوصية مرارا؛ فإنما هي وصية واحدة، ولكن كررتها في الكتب لئلا تتلف، وهذه فيها إقرار بمالي وما عليّ"، فالعبارة تدل على أن الجيطالي كتب وصيته عدة مرات، ويتبادر أن ذلك كان في مرحلة متقدمة من عمره، ولعل ذلك كان قبل هجرته إلى جربة التي قضى فيها الفترة الأخيرة من حياته وفيها توفي، ومما يقوي هذا الاحتمال:

- ملاحظة كثرة الوصايا المتعلقة بحقوقه وديونه وتبعاته، منها إقراره بحقوق عليه للغير؛ هم ستة أشخاص (06) ذكرهم بأسمائهم. واعترافه بحقوق له على الغير؛ هم اثنا عشر شخصا (12) ذكرهم بأسمائهم. مع وصيته برد ما عنده من كتب العارية للغير وذكرها بعناوينها، وأصحابها عشرة (10) أشخاص ذكرهم بأسمائهم، وكل الأسماء متعلقة بنفوسة؛ ما يوجه إلى القول بأن الوصية تخص مرحلة حياة الشيخ في نفوسة قبل هجرته إلى جربة،

32 – استشرت الأستاذ سليمان الشيباني المهتم بأعلام نفوسة وتاريخها فرجح أنهما شخصيتان مختلفتان، وقال: يمكن أن يكون الحاج أبو نصر من ذرية الشيخ أبي نصر فتح بن نوح، (رسالة مكتوبة بتاريخ 14 ماي 2024م).

ونفس الأمر ملاحظ بخصوص الأماكن المذكورة في الوصية وهي اثنا عشر (12) موضعا وكلها متعلق بنفوسة.

- وصيته لامرأته التي عبر عنها بقوله: "وأقرّ أن لامرأته **الشروسية** في ذمته سبعمائة درهم غير الصداق، باعهم من كسبها، تأخذهم وتحاللله في جميع ما أكل من مالها وفرط من حقوقها"، فهذه العبارة قد تفيد أن الموصي بعيدٌ عن امرأته المذكورة، ربما بسبب هجرته إلى جربة، فالجيطالي في علمه وورعه وشدته في الحق لا يتصور أن يترك محاللة زوجته ويكتب ذلك في وصيته. أو أن زوجته المذكورة لم تعد في عصمته.

وبناء على ما سبق ذكره من الترجيح لتاريخ هجرة الجيطالي إلى جربة الذي كان في حوالي العقد الرابع من ق08هـ، واستقراره فيها بالجامع الكبير يُدرّس ويُصنّف في المجلس الواحد، ولأنه قد أرخ لتآليفه بين سنتي 730 و738هـ، فإن المحتمل أن وصيته هذه كتبها قبل هذا التاريخ.

المطلب الخامس: مضمون الوصية

أولا: هيكل الوصية: اشتملت وصية الجيطالي على ما يلي:

1. وصية روحية.
2. الوصية الواجبة المتمثلة في الوصية للأقرب.
3. وصايا خيرية عديدة.
4. إقرار لما عليه للغير من تباعات وأموال.
5. تصريح لما له على الغير من أموال.
6. الوصية برد ما عنده من عارية الكتب لأصحابها.
7. الوصية بحبس كتبه للقراءة.
8. الوصية بطلب المحاللة له من أهل جيطال وتمزدا ومصغورة.
9. التصريح بتعيين أخيه أبي بكر خليفة له على وصيته.

ووصية الجيطالي بهذا المضمون لم تخرج عن عموم المألوف الفقهي المقرر في مصنفات الفقه الإسلامي، لا سيما الفقه الإباضي الذي يقرر وجوب الوصية للأقربين خلافا لغيره. مع الإقرار بحقوق الغير، والوصية لوجوه البر المختلفة.

ثانيا: قراءة في الوصايا الخيرية للجيطالي:

1. **الوصية بالمعروف:** وهي بحسب ما ورد من التعبير عنها في عدة مواضع وتحديد مصرفها بالفقراء المتعلمين في موضعين، وبالفقراء فحسب في موضع آخر، هي بذلك وجه من وجوه الصدقة التي يوصى بها عند أهل نفوسة. وهذه هي النصوص التي وردت فيها هذه الوصية:

– " ويخرج ... مائة دينارا مما عليه من المعروف يُنفق على الفقراء المتعلمين وغيرهم".

– "وأوصى بشعير المعروف وزيتون المعروف الذي في **قصر يدموح**؛ ...وأربعة أقفزة في **غرفة معيز بن سالم** في **قصر توكيت**. والباقي في **غرفة يدرج** ...، وأوصى بالمعروف أن ينفق على الفقراء والمتعلمين".

– "وأوصى أيضا بالمال الذي عند **يوسف بن يونس** ... والدراهم التي هي ثمن الشعير على **مقرين** الذين اشتراهم من **ككله**؛ كل هذه للمعروف؛ ينفق على الفقراء".

2. **الوصية لجميع من في بلده:** أوصى الجيطالي بثلث أصل له عيّنهُ مع ثلث ما عنده من المنتقل؛ يقسم أثلاثا، ثلث منه "ينفق في بلده على جميع من فيه كيف استحسن أخوه أبو بكر وهو خليفته"، والمتبادر أن بلده المذكور هو قريته جيطال.

3. **الوصية للمساجد:** حيث نص في وصيته لمسجد بلده –وهي جيطال فيما يتبادر– يشترى لها حصر من ثمن 60 درهما، وبقفيزين زيتا للمصباح. ولمسجد مصغورة التي تعلم فيها على الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي يشترى لها حصر وزيت للمصباح من ثمن 20 درهما.

4. **الكفارات:** أوصى الجيطالي بثلث أصل له عيّنهُ مع ثلث ما عنده من المنتقل؛ يقسم أثلاثا، ثلث منه "ينفق على كفارة الأيمان؛ أيمان مغلظة وأيمان مرسلة"، والمتبادر أنها كفارات للاحتياط ولابتغاء أجر النفقة على الفقراء والمساكين. وهي وصية مستحسنة عند فقهاء الإباضية، طلبا للسلامة من التقصير في جنب الله.

5. **احتياط الزكاة:** أوصى الجيطالي بإنفاق 100 دينار احتياطا للزكاة، وهي وصية مستحسنة عند فقهاء الإباضية، طلبا للسلامة من التبعات غير المقصودة.

6. **وقف الكتب:** قال الجيطالي: "وأوصى بكتبه أن تحبس للقراءة، لا تورث ولا تباع".

فالملاحظ أن وصية الجيطالي مشحونة بالوصايا الخيرية، وهي تنم عن عدة أمور؛ منها:

- البعد الاجتماعي للوصية عند أهل جبل نفوسة، من خلال الوصايا المتعددة للفقراء؛ من الكفارات والاحتياط، وكذا وصيته لجميع من في بلده.
- الاهتمام بالعلم وتقدير أهله المتعلمين من خلال الوصية بالمعروف لهم، ووقف كتبه للقراءة طلبا للأجر.
- العناية بالمساجد من خلال الوصية لها بما تحتاجه بصفة مستمرة لعمارتها، ويتمثل ذلك في الحصر وزيت الإضاءة، وقد أوصى الجيطالي بذلك لمسجدين.

المطلب السادس: جوانب تتعلق بالحياة الخاصة للجيطالي

أولا: أماكن حياة الجيطالي؛ المشهور من ترجمة الجيطالي أنه أقام مددا طويلة في كل من مسقط رأسه جيطال، وموطن تعلمه مصغورة، وفي فرسطاء، وجربة في آخر حياته. وفي وصيته ما يؤكد ذلك، من خلال:

– وصيته بشيء من ماله لمسجد بلده جيطال ومسجد مصغورة.

– ما ورد فيها من طلب أخيه أبي بكر الذي استخلفه على وصيته بقوله: "واطلب لي الجماعة من جيطال وتمزدا ومصغورة المحاللة على كل حال".

ففي طلبه المحاللة من أهالي تلك القرى قرينة على طول العشرة، وتأكيد على ما عرف من مواطن استقر بها في حياته، إلا قرية **تمزدا** فذكرها يدل على أنه عاشر أهلها واستقر بها زمنا، وهو أمر جديد لم يرد من قبل عند من ترجم للجيطالي.

ثانيا: أفراد من عائلة الجيطالي؛ أفادت الوصية بأن للشيخ إسماعيل أخا اسمه أبو بكر، وهو الذي استخلفه على وصيته، وورد ذكره فيها باسمه أكثر من مرة، وهذه من المعلومات الجديدة عن عائلة الجيطالي.

ولعل استخلاف الشيخ لأخيه أبي بكر على وصيته لكونه لم يخلف عقبا، لأنهم الأقرب إليه والأولى بإنفاذ وصاياه لاسيما ذات الشأن الداخلي الخاص. ومما يقوي هذا الاحتمال عدم ورود أي ذكر لذرية الشيخ في الوصية في أي سياق من سياقات وصاياه المتعددة.

ومن جديد الوصية كذلك ذكر الشيخ لزوجته الشروسية والوصية لها بحق مالي، والمتبادر من عبارة التنكير "وأقر أن لامرأته الشروسية" أن الشيخ تزوج أكثر من امرأة، ولا يستبعد ذلك عن شخصية قوية مثل الشيخ الجيطالي، الذي كانت حياته متنقلة بين عدة بلدان بين نفوسة وجربة.

ثالثا: الجانب الاقتصادي للجيطالي؛ يبدو الجيطالي من خلال وصيته شخصا ميسورا وصاحب علاقات اقتصادية متنوعة، على العكس مما يمكن أن يُتصور شخصٌ معروفٌ بتصديه للتعليم والتأليف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأظهرت الوصية أن الجيطالي صاحب نشاط اقتصادي متنوع بقرائن ما ذكر فيها من البيع والشراء وعديد الشركات، فمن ذلك:

– عَناق (أنثى المعز) مشتركة مع جميل بن مخلوف المجدلي.

– عبوري (لم يتبين معنى الكلمة) مشتركة مع سليم التلاتي.

– نعاج مشتركة مع سعيد بن يحي.

– بيع جمل وشراء آخر مع ركنيما من أولاد راشد.

– شراء 30 وبية شعيرا من يفاو بن جميع.

– بيع دابة لمحمد بن عبد الله بن ملاعب الجيطالي.

– شراء شعير من عمر بن أبي زكرياء بن محمود الساكن تاردايت.

وأفادت الوصية تملك الجيطالي لما يلي مما أقر به حقا عليه للغير أو حقا له على الغير أو أوصى به

لوجه من وجوه البر:

– حوض شعير في قصر يدموح.

– حوضان كبيران من الزيتون في قصر يدموح.

– 04 أقفزة من الشعير في غرفة معيز بن سالم بقصر توكيت.

– شعير له في غرفة يدرج.

– 72 وبية قمحا.

– 03 وبيات شعيرا.

– 04 أقفزة شعيرا.

– مال عند يوسف بن يونس من المال المجموع برسم الدفع عن المذهب.

– مجموعة غنم عند المرابط هرماس.

– مجموعة غنم عند النفاثي.

– نعاج مشتركة بينه وبين سعيد بن يحي.

– عناق مشتركة مع جميل بن مخلوف المجدلي.

– عبوري مشتركة مع سليم التلاتي.

– أرض في شعبة تلات انتو.

– أصل (أرض) في بلد أمسين.

– 1050 درهما.

– 204 دنانير.

– ديناران كبيران.

– 03 دنانير ذهبية.

ولئن كانت هذه الأموال تعطي صورة تقريبية لليسر المالي نسبيا للجيطالي؛ وذلك بالنظر إلى نمط حياته التي غلب عليها الجانب العلمي والدعوي؛ فإنها من جانب آخر تشير إلى تقشف الرجل وكده في سبيل تحصيل الكسب، الذي يفيده تفرق أقفزته من الشعير لدى العديد من الغرف وفي ذمم العديد من الناس، واشتراكه في وحدان من رؤوس الأنعام.

المطلب السابع: جوانب حضارية في جبل نفوسة

أولا: نظام تخزين الغلال في القصور؛ من المعروف في قرى جبل نفوسة ظاهرة القصور الجبلية المشيّدة على

القمم الشّاهقة، وهي مباني معروفة كذلك بمنطقة جبل مطماطة، وجبل دمّر[33]. وحدثني بعض أهل نفوسة أن تلك القصور يُطلق عليها في اللسان النفوسي الأمازيغي "أغصرو".

والقصر غير المباني السكنية لأهل القرية، فالقصر يكون منفصلا عن المساكن، ويؤدي وظيفة المستودع للغلال والمؤن والأقوات وله دور اقتصادي هام، وبه غرف متدرجة على هيئة طوابق بعضها فوق بعض؛ والظاهرة قديمة في هذه المناطق ومرتبطة بالحياة الاقتصادية لسكانها، نظرا لخروجهم في مواسم الربيع للبادية، وتخزين غلالهم في مواقع حصينة جدا لا يصل إليها القاصد إلا بمشقة وعناء كبيرين[34]. ويُعين على القصر أمين يحفظ نظامه ويدير شؤونه، بحيث تكون له معرفة كاملة بأصحاب الغرف، فلا يسمح لغيرهم الدخول إليه. ونظام هذه القصور قديم قدم حياة الإنسان في تلك المناطق، والتي تمتد في القدم لأكثر من 2000 سنة[35].

وفي وصية الجيطالي ما يفيد تفعيل نظام تخزين الغلال في هذه القصور، إذ صرح ببعض ما يملكه من حبوب وزيتون في عدة قصور، فأوصى "بشعير المعروف وزيتون المعروف الذي في **قصر يدموح**؛ الشعير في حوض والزيتون في حوضين كبيرين. وأربعة أقفزة في **غرفة معيز بن سالم** في **قصر توكيت**. والباقي في **غرفة يدرج** وفي **غرفة معيز** إنما هو له".

ثم صرح بأن له عند عمر بن أبي زكرياء بن محمود شعيرا اكتاله له من دراهم دفعها إليه، ثم خزنه له في غرفة **معيز بن سالم** في **قصر توكيت**.

ثانيا: مكاييل وعملات؛ ورد في الوصية استعمال مكيالين هما القفيز والويبة، إذ من وصاياه قفيزان زيتا للمصباح لمسجد بلده، وأربعة أقفزة –لعله من الشعير– للمعروف ينفق على الفقراء والمتعلمين. وأقر أن لعبد الواحد بن نصر الجيطالي 15 ويبة شعيرا، قال: "يتم له القفيزين". وصرح بأن له على أحمد بن مرداس 10 ويبات قمحا. والمكيالان يختلفان بحسب البلدان واصطلاح الناس، والذي يؤخذ من بعض المصادر النفوسية ككتاب أبي مسألة وكتاب الوضع أن القفيز القديم 16 وَيْبة[36]، والويبة القديمة 08 أمداد[37].

أما العملات فقد ورد في الوصية توظيف عدة قطع نقدية، هي: الدرهم، والدينار، والدينار الكبير، والدينار الذهبي، دنانير دراهم سكية.

33 – الهاشمي الحسين، **الحلقة المفقودة من عمارة القصور بجبل دمر، قصور بني خداش نموذجا**، ص01، (بحث مرقون).

34 – صالح معيوف مفتاح، **جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف ق02ه إلى أواخر ق 03ه**، ص34، (بحث مرقون).

35 – مقابلة مع الأستاذ الباحث سليمان يحمد في زيارة لقصر نالوت في 26 أكتوبر 2022م.

36 – مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، 1/ 180.

37 – يحي بن أبي الخير الجناوني، **كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه**، ص246.

1- أما الدرهم فهو القطعة الفضية المعروفة.

2- أما الدينار على إطلاقه فالظاهر أنه الدراهم الجارية في البلاد، وهي الدراهم المسككة=دراهم سكية، وتعرف بالدنانير الأميرية، ووزنها 80 حبة من الشعير[38].

3- أما الدينار الذهبي فهو القطعة الذهبية المعروفة بالمثقال، ووزنها 72 حبة من الشعير.

4- أما الدينار الكبير، وهو قطعة ذهبية تزيد على المثقال الشرعي وتزن 84 حبة من الشعير؛ على ما ذكره بعض المؤرخين، وأنه "كان أهمَّ عملة، ويسمّونه الدينار الكبير"[39].

فهذه النقود هي مما كان يغلب التعامل به في البلاد الإفريقية، ولم يكن لبلد الجيطالي سكة خاصة. وقد عدد صاحب رسالة "تلخيص القول في الأكيال والأوزان والنصب الشرعية وتبيين مقاديرها من أقوال العلماء المعتنين بتحقيق ذلك" النقود التي كانت بين أيدي الناس وفصل مقاديرها واستعمالاتها وحصرها في: الدنانير اليوسفية=المؤمنية، والدينار اليعقوبي، والدنانير المعروفة بالأميرية الجارية ببلاد إفريقية، والدنانير الشرعية المعروفة بالمثاقيل، أثقلها الدينار اليعقوبي وأخفها الدينار اليوسفي[40].

ثالثا: مكتبات نفوسة؛ في وصية الجيطالي قرائن هامة عن الشأن الثقافي في نفوسة، وبالأخص ما تعلق بوفرة الكتب وأصحابها والعديد من العناوين التي كانوا يمتلكونها، وقد ورد ذلك في سياق تصريح الموصي بما معه من كتب الغير المستعارة وتوجيهه بإرجاعها لأصحابها. وتفيد الوصية تعدد المكتبات الخاصة ومنها ما كان وقفا للأجر كما ورد التصريح به، وفيما يلي أصحاب الكتب المذكورة:

1- مجموعة الحاج أبي نصر التملوشائي وشركائه.

2- مجموعة موسى بن أبي سعير اللالوتي.

3- مجموعة أولاد أبي بكر أخي أبي عزيز من أولاد أبي هارون.

---

38 – محمد الشريف، **تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري**، تقديم وتحقيق. مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، ن الكترونية.

39 – مسعود مزهودي، **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص96، نقلا عن المقدسي والعمري والقلقشندي. وسبب تسميته بالدينار الكبير هو الزيادة التي في وزنه كما سبق، ويطلق عليه الدينار اليعقوبي نسبة لأبي يوسف يعقوب المنصور (580 . 595 هـ)، ويمتاز بالإضافة إلى وزنه، ارتفاع نسبة الذهب الخالص فيه، ويزن ضعف الدينار المؤمني اليوسفي الذي يزن 2.47 غراماً تقريباً. (محمد الشريف، **تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري**، تقديم وتحقيق. مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، ن الكترونية).

40 – محمد الشريف، **تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري**، تقديم وتحقيق. مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، ن الكترونية.

4- مجموعة أبي القاسم الفاسطوي.

5- مجموعة موسى بن نوح الفاسطوي.

6- مجموعة يحي بن الشيخ الجناوني.

7- مجموعة أولاد سليمان بن نفاث.

8- مجموعة محمد بن الشيخ إبراهيم من أولاد أبي هارون.

9- مجموعة أولاد سليمان بن الشيخ.

10- مجموعة مامد الملوشائي (صرح الموصي أنها للأجر=وقف).

11- مجموعة عبد العزيز بن حبيب الجناوني.

وبلغ عدد الكتب التي ذكرها الموصي 26 كتابا، منها 10كتب في الفقه وأصوله، و05 كتب في تفسير القرآن الكريم، و04 كتب في التاريخ. وهذا العدد المعتبر من مجموعات الكتب قرينة على انتشار الثقافة وكثرة المهتمين بالكتاب في جبل نفوسة.

والكتب التي ذكرها الجيطالي الثلثُ منها تقريبا كتب إباضية والباقي لغيرهم، وفي هذا قرينة على تفتح الرجل وابتغائه الحكمة من كل المصادر.

وما ذكره الموصي من الكتب كان الباقي في حفظه، وأشار إلى غيره مما نسيه في قوله: "وغير هؤلاء من الكتب نسيتهم، ولكن كل كتاب وُجد عليه اسم صاحبه فليدفع له، وإن لم يوجد اسمه فمن سماه أو أتى بعلامة تبينه فليُدفع إليه". وقال في صدد وصيته بإرجاع كتب العارية من الحاج أبي نصر التملوشائي وشركائه: "فتش كل كراسة وُجد عليها اسمه فأعطها إياه، وما لم تجد اسمه فاطلبه أن يصدقه عليّ ويحاللني، لأني لا أحصي جميع كتبه". فالكتب التي استعارها من غيره كثيرة غير محصورة فيما ذكره في الوصية.

وتفيد الوصية أن **للجيطالي مكتبة شخصية**، يستفاد ذلك من وصيته بوقف كتبه للقراءة لا تورث ولا تباع، وذكر من كتبه تفسير الخمسمائة آية لأبي الحواري العماني (ق03هـ) إذ صرح أنه عارية عند أولاد سليمان بن نفاث.

وهذه قائمة بأسماء الكتب الواردة في الوصية:

1.كتاب الصلاة.

2.كتاب النقاش.

3.كتاب أصول الفقه، فيه حرق النار.

4.كتاب تمعلقين[41].

5.كراسات في أخبار صفين ويوم الجمل.

6.كراسات في الميراث تنسب إلى أبي النجا.

7.كتاب فيه تفسير البقرة وآل عمران.

8.كتاب فيه أخبار موسى والخضر عليهما السلام.

9.كتاب تأليف عمروس.

10.كتاب رسالة الوارجلاني.

11.كتاب فيه تفسير من آل عمران إلى المائدة.

12.كتاب فيه تفسير من طه إلى الشعراء.

13.كتاب فيه أخبار البرامكة.

14.كتاب فيه حساب خط الرمل.

15.كتاب صغير فيه أشعار وأحاديث؛ في أوله قصيدة لعلي بن أبي طالب، وفي آخره قصيدة لأبي نصر الملوشائي.

16.كتاب رق فيه مسائل أهل المشرق.

17.كراسة فيها مخاطبة النعمان لكسرى.

18.كراسة فيها وعظ.

19.كتاب تفسير الخمسمائة آية.

20.كتاب ابن جعفر.

21.كتاب الرسائل.

22.وكتاب الغزالي.

23.كتاب التفسير عن مجاهد تأليف الهواري؛ كامل.

24.كتاب النكاح.

25.كتاب للوعظ.

26.كتاب الحضرمي.

41 – كتاب تمعلقين قد يكون المقصود به كتاب المعلقات في أخبار أهل الدعوة لمؤلف إباضي من ق 06هـ لم يُعرف.

رابعا: الأماكن والأسماء في وصية الجيطالي؛ تعتبر وصية الجيطالي على صغرها وثيقة هامة من جانب ما تحتوي عليه من أسماء للأماكن والأشخاص، باعتبارها نصا له أقدمية معتبرة تبلغ 07 قرون، وهي فترة ليست بالقليلة، فصيغ الأسماء الواردة في الوصية هي شاهد على ما اقترنت به من أماكن وأشخاص، وهي تفتح آفاقا وأبعادا بحثية تتعلق بتطور التسميات وأصولها في جبل نفوسة وقراها.

وهذه أسماء الأماكن والأشخاص الواردة في الوصية:

1/ أسماء الأماكن:

27.شعبة تلات انتو.

28.بلد أمسين.

29.من تلالت إلى تغرمين.

30.من المروج إلى الأحواض.

31.مسجد مصغورة.

32.جيطال.

33.تمزدا.

34.قصر يدموح.

35.غرفة معيز بن سالم في قصر توكيت.

36.غرفة يدرج.

37.ككله.

38.تارديت.

2/ أسماء الأشخاص من محيط الموصي (الأعلام):

1.أخوه أبو بكر [بن موسى الجيطالي].

2.امرأته الشروسية.

3.تخلفين بن أحمد الجناوني.

4.عيسى بن عسكر.

5.سعيد بن أحمد بن ولوزن.

6.عبد الواحد بن نصر الجطالي.

7.يوسف بن يونس.

8.مقرين.

9.المرابط هرماس بن أخي علي بن سريره.

10.النفاثي من بني فتا.

11.جميل بن مخلوف المجدلي.

12.سليم التلاتي.

13.سعيد بن يحي.

14.تيتس.

15.ركنيما من أولاد راشد.

16.سالم النفاثي المازوري.

17.يفاو بن جميع.

18.يخلف المحجل.

19.محمد بن عبد الله بن ملاعب الجطالي.

20.عمر بن أبي زكرياء بن محمود.

21.معيز بن سالم.

22.أحمد بن مرداس.

23.مقرين بن مامد.

24.إبراهيم بن سليمان بن يانجانس الجناوني.

25.وأولاد عمنا يونس.

26.عيسى بن هارون بن الحاج موسى التنطني.

27.الحاج أبي نصر التملوشائي.

28.موسى بن أبي سعير اللالوتي.

29.أولاد أبي بكر أخي عمنا أبي عزيز من أولاد أبي هارون.

30.أبو القاسم الفساطوي.

31.موسى بن نوح الفساطوي.

32.يحي بن الشيخ الجناوني.

33.أولاد سليمان بن نفاث.

34.محمد بن الشيخ بن إبراهيم من أولاد هارون.

35.أولاد عمنا سليمان بن الشيخ.

36.مامد الملوشائي.

37.عبد العزيز بن حبيب الجناوني.

المبحث الخامس:

جواب الشيخ الجيطالي على رسالة سالم بن مسعود الحامي؛ قراءة تحليلية

المطلب الأول: بيانات وثيقة الجواب

يوجد الجواب مخطوطا بحوزة المكتبة البارونية في جزيرة جربة، تونس، رقم حفظه: 263، ورقمه في الفهرس، قسم الأجوبة والردود/ الرسائل الإخوانية: 183[42]. وهي النسخة الوحيدة في علمنا حاليا.

والجواب لم ترد فيه معلومات عن ناسخه ولا تاريخ نسخه. وخطه شبيه بخط موسى بن سعيد اللالوتي النفوسي، أو أحد معاصريه، في حوالي ق12ه[43].

ويقع الجواب في 04 صفحات وعلى ورقتين. والنسخة متأثرة بفعل الأرضة والرطوبة، أثر ذلك على الكتابة، فلم يمكن قراءة بعض المواضع، وقد أشير إليها في النص بثلاث نقاط (...).

صورة بعض الصفحة الأولى من الجواب:

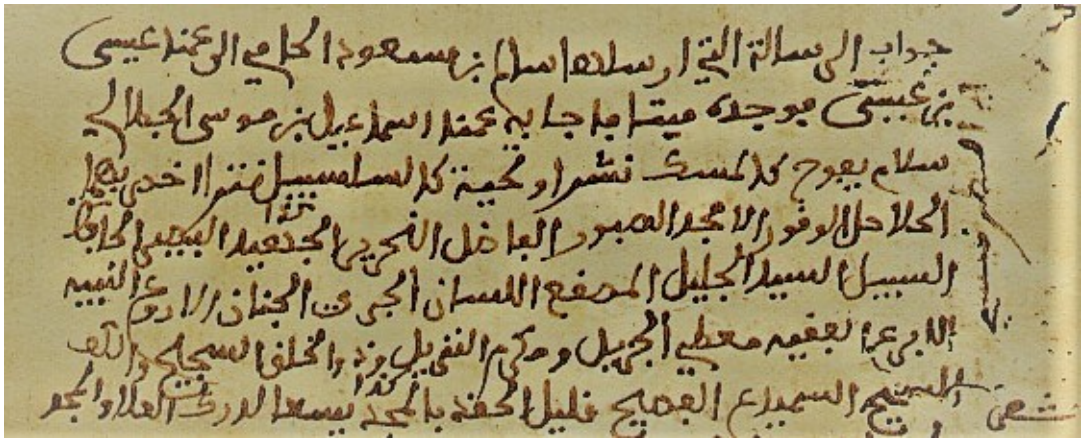

42 – ينظر: جمعية أبي إسحاق اطفيش والمكتبة البارونية، **فهرس مخطوطات المكتبة البارونية**، القسم الإباضي، ص460.

43 – عن خط الناسخ المذكور ينظر: م، ن، ص683.

المطلب الثاني: نص الجواب:

الحمد لله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

جواب الرسالة التي أرسلها سالم بن مسعود الحامي إلى عمنا عيسى بن عيسى فوجده ميتا، فأجابه به عمنا إسماعيل بن موسى الجيطالي.

سلام يفوح كالمسك نشرا، وتحية كالسلسبيل تترى؛ أخص بهما الحلاحل الوقور الأمجد الصبور[44]، الفاضل النحرير الجهبذ البصير، الحافظ السبيل السيد الجليل، المصقع اللسان الجريء الجنان، الأروع النبيه الأبرع الفقيه، معطي الجزيل ومكرم النزيل، وذو الخلق السجيح والكف السميح السميدع الفصيح[45]، قليل الحقد بالمجد، يسعى لدرك العلا والمجد.

شعر

صافي الجنان نقيُ الجيب طاهرُه ... قد زانه الأصمعان العقل والحرم
يرضي الإله بحسن السعي لا برحتْ ... تَحوطه المنتان الأمن والنعم
حلوُ السجية أغلى الناس مرتبة ... شيمته الأشرفان الجود والكرم
سمحُ الخليقة طلقُ الكف؛ لا عَدِمتْ ... حياتَه الثقلان الجن والأمم
أعني **الفقيه ابن مسعود** فما حملت ... كمثله المركبان الخيل والنعم
أكرم به من فتى سمحٍ أخي ثقةٍ ... قد صانه العطِفان الله والرحم
لا يرتدي بُرَداء الكبْر مفتخرا ... لبئست الخلتان الكبْر والعِظم
رحب الذراع طويل الباع معتدل ... تزهو به الجهتان الحل والحرم
يستصحب الصبر خدنا؛ لا يخالجه ... في دينه الخلجان الظن والتهم
لا يخفر العهد؛ ما دامت خفارته ... واختلف الموثقان العهد والذمم
قد كان مغترفا من بحر عالمنا ... همته الأزهران العلم والحكم
ما علم الناس منه ريبة لا ولا ... يعتده الكسلان العجز والجثم
تسربل بثياب الجد مجتهدا ... دأبا له التقبان الفقه والفهم
أخي ألمت بنا في الربع مسغبة ... طرازها المحنتان البؤس والنقم

44 – الحُلاحِل: السَّيِّد في عشيرته الشجاع الرَّكين في مجلسه، وقيل هو الضَّخْم المروءة وقيل هو الرَّزِين مع ثَخانة، (ابن منظور، **لسان العرب**).

45 – السميدع: الكريم السَّيِّدُ الجميل الجسيم المُوَطَّأُ الأَكناف، وقيل هو الشُّجاعُ، (ابن منظور، **لسان العرب**).

تذكر القلب منه الأهل؛ فاضطربت ... في جوفه الجمرتان الحزن والألم
فظل يسكب دمع العين منتحبا ... كأنه الأغزران الوبل والديم
قالت له النفس قولا وهي واهية ... لا خانك الساعيان الساق والقدَم
لا تقعدنّ على ذلّ ومرغمة ... قد هُتك المسبَلان الستر والحُرُم
لما رأى السَّغَبَ المضني ألمّ بنا ... وعمّنا المجدبان القحط والعدم
انهلّت العين للتوديع؛ وانتشرت ... من جفنها المزنتان الودق والديم
فقال: لا عن قلىً مني لوصلكم ... خصتكم النعمتان الخصب والديم
لا صدعتْ حدثات الدهر شملكم ... ما أورق المنبَتَان الطلح والسلم
يا راكبا عِرْمِساً في البِيد ناحيةً ... قد مَسَّها المتعبان الأيْنُ والسأم[46]
بلغ هُديت **ابن مسعود** وعصبته ... ومن به السجيان الزهر والنَّدِم
تحيةً كنسيم المسك ممتليا ... من نشرها الكنفان البيت والخيم
من صحبه الأصفياء المحضُ ودهُمُ ... كأنه الصفيان الراح والشيم
وهم محيون بالتسليم مهجته ... ما اعتقب الفيئتان الضوء والظلم
جزيت عنا جزيل الخير مغتبطا ... وحفك الأوفران الحظ والقسم
أحييتَ عهدا على شحط المزار ولم ... يُنسِّكَ الترحان البعد والقِدم
لا زلتَ دهرَك في أمنٍ وفي دعةٍ ... ما ائتلف الجوهران الروح والجسم
مقتفيا لسبيل الرشد متبعا ... ما أوضح النَّاطِقان الذكر والكلم
إن كنت تسأل عن أحوالنا فلقد ... أودى بنا المتلِفان الشجو والسقم
بمصرع **الشيخ زين الدين سيدنا** ... قد ضمه المكفِتان الترب والرَّجِم
وهتْ قوى الدين لما غاب مفتقَدا ... يبكي له الخادمان الحبر والقلم
قد كان معتمَدا للدين منتجَدا ... لمن به المفظِعان الفقر والهرم
فقام من بعده في الناس من رضيتْ ... بحكمه الأحمران العرب والعجم
حبرٌ سنيٌّ ذكيٌّ سيدٌ ماجدٌ ... سمحٌ؛ له المطيان الحرم والعزم
ذاك **الفقيه ابنُ إبراهيم** لا قرعَتْ ... مروتَه الحدثان الموت والعدم

46 – العِرْمِسُ: الناقة الصلبة الشديدة، أو الإبل الأدبية الطيعة القياد. والأيْن: الإعياء، (ابن منظور، **لسان العرب**).

فأصبح الدين قد شُدّتْ دعائمُه ... ما أَنَّ به القصِمان الهد والعدم[47]
حتى احتوى الصنو منه الرشد مستترا ... تسعى به الدارسان الريح والرهم
فصيّر الحزنُ منه القلبَ مكتئبا ... يقتاده المشغلان الشجو والسقم
لكنه جلد عن كل مرزأة ... يجري به الأقضيان الحتم والقسم
يا جابر الكسر من بعد انكسار وقد ... حل به القادحان القلم والقظم
إني لمعترف بكل ما اجترحتْ ... بجهلها المهجتان الجسم والنسم
هب لي بفضلك ربي منك مغفرة ... تمحى بها الزلتان الذنب واللمم
وحائك النظم ...أمسى وقد خمدت ... من قلبه الفطنتان الفكر والهمم
غرته أنفاس دنيا لا بقاء لها ... كأنها النائلان الفيء والحلم
ثم السلام على من كان ملتزما ... ما سنه الشارعان الرسل والحَكَم
من أهل دعوتنا الغرا أنيط بها ... من ربها السببان الحبل والعصم
صلى الإله على المختار سيدنا ... ما اعشوشب المنبِتان القاع والأكم

وبعد يا أخي فإن سألت عن أخبارنا وما آلت إليه أحوالنا؛ اعلم أنه لما قضى الله سبحانه برحيل الشيخ وارتحاله وتلفعه بسربال المنية واشتماله؛ اعترتنا بلابل وأشجان وأرّقتنا وجوم وأحزان؛ فبتنا متململين وعلى جمر الأسى متقلبين.

شعر:

مستشعرين ثوب المضاضة والأسى ... ومتسربلين بسرابيل الأشجان
فكأن أحلام البرية مسها ... السن يشاب بلوعة الأحزان
أو قهوة دبت حميا صرفها ... بكل عقل منهم ولسان

سجع: استقبلنا فقده بلوعة واحتراق، وتجرعناه وإن كان مرّ المذاق، فلما أن خمدت نار الالتياع، واعترى لهيبنا خمود الانقطاع، انتدبت فر...بت الله بالإيمان دعائمها وأمضى في مناكب الغبراء عزائمها.

47 – أَنَّ: أي سعى سعيا بطيئا، مِنْ أَنَّ يَئِنُّ، ونَاَتَ ينْأَتُ، (ابن منظور، **لسان العرب**)

شعر:

بنعمة من الإله تحفها تحت هلال الأمن والإيمان
أحيى الإله بها معالم دينه بتواتر الآلاء والإحسان
في منتمى عز وأفضل حرمة مكلوءة من حادث الأزمان

سجع: أسنى الله وِجَاح الستر على محافلها[48]، ونظم فيء سلك الالتئام عقد شملها واشتمالها، وفصم عرى النفاق والكفر بحفلها واحتفالها، لإحياء سنن الشيخ وسيره وسلوك منهجه الأغر وأثره، وهم أخدانك الأصفياء وإخوانك الأوداء.

شعر:

يبنون أمرا سوف يحمد غبه بصفاء نية من الجنان
لا يبتغون من البرية بالذي يحاولون يوما علو مكان
لكن قصدهم وغرض مرادهم بفعالهم طرا رضى الرحمن

سجع: فلما انتظم أمرهم في سلك الاتفاق، واتفق رأيهم في حلية الاتساق، نظروا بأعين المهج وبصائرها إلى اضطهاد نفوسة وعشائرها واستيلاء الظلمة الفجرة على منابرها فوجدوها دار الذل والهوان، وأوطان من ليست له أوطان، فسنحت بخواطرهم الجزيرة السنية أقطارها، الأعزة قطانها، أعني جزيرة بني يفرن وما والاها من قرى ماجر وسكانها[49]، تاقت نفوسهم إلى اختبارها واستنشاق روائح رندها، فتسامعت نفوسة بانتقالهم إليها.

شعر:

وتعلقت بهم دوين بلوغها كتعلق الحرباء بالأغصان
كي تستقر بهم ركائب رحلة همت بسير في المهامه دان
بذلوا لهم سربالا عين الحبالى عن تراض منهمُ متدان

48 – أَسْنَى: رفع. والوِجاح: الستر، (ابن منظور، **لسان العرب**).

49 – قرى ماجر مكان قريب من يفرن بجبل نفوسة يسمى حاليا قصر ابن نيران، (محمد كرير، **رسالة صوتية**). وجزيرة بني يفرن يتبادر أنها الحصن المعروف بالجزيرة في الواقع على جبال مرتفعة مطلة على وادي شروس، وسيأتي مزيد تعريف لها.

سجع: إلى أن انتهزوا فرص الاختلاس على حين غفلة من الناس، انتقلوا إليها أفرادا والتأموا هناك فخاذا؛ فهم مجتمعون في أطيب بال وأنعم حال.

شعر:

أسنى تحية عليكم ما اغتدت قمرية تصدح فوق الجنان
صلى الإله على ابن آمنة الذي نشر الهدى بقواضب وأسنان

تمت بحمد الله وحسن عونه.

المطلب الثالث: نسبة الجواب للجيطالي

ورد في مستهل الجواب ما يدل على نسبته للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي، وهذا نص عبارته: "جواب الرسالة التي أرسلها سالم بن مسعود الحامي إلى عمنا عيسى بن عيسى فوجده ميتا، فأجابه به عمنا إسماعيل بن موسى الجيطالي". وهذه نسبة صريحة، ويضاف إليها القرائن التاريخية المؤكدة لها؛ والتي سيأتي تفصيلها في مضمون الجواب.

المطلب الرابع: زمن كتابة الجواب وخلفية تحريره

بما أن الجواب كتبه الجيطالي نيابة عن الشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي الذي وافاه كتاب المرسِل الحاميِّ ميتا، وكانت وفاته سنة 722ه، فإن المتبادر أن كتابة الجواب كانت في نفس السنة، إثر وفاة الشيخ الطرميسي. فإرسال الحامي إلى الشيخ الطرميسي يدل على عدم علمه بموته، ما يعني أن الرسالة عند تحريرها وإرسالها كان الطرميسي على قيد الحياة أو أنه توفي قريبا لكن خبر موته لم ينتشر بعد.

المطلب الخامس: مضمون الجواب

الجواب جاء في قالب أدبي مميز، غالبه نظم يتخلله بعض النثر اليسير، وهذا تفصيل مضمونه وأفكاره الجزئية:

1- استهلال نثري صدّر به الكاتب جوابه، اشتمل على السلام والتحية للمرسَل إليه، الذي ألبسه الكاتب وابلا من أوصاف التقدير والإجلال والفضل والعلم والفصاحة والأخلاق بقوله: "سلام يفوح كالمسك نشرا، وتحيةٌ كالسلسبيل تترى؛ أخص بهما الحُلاحِل الوقور الأمجد الصبور، الفاضل النحرير الجهبذ البصير، الحافظ السبيل السيد الجليل، المصقع اللسان الجريء الجنان، الأروع النبيه الأبرع الفقيه، معطي الجزيل ومكرم النزيل، وذو الخلق السجيح والكف السميح السميدع الفصيح، قليل الحقد بالمجد، يسعى لدرك العلا والمجد".

2- مقطوعة من 13 بيتا في الثناء على المرسَل إليه وتعداد فضائله وخلاله الطيبة، كمثل وصفه بأنه صافي الجنان، حسن السعي، حلو السجية، سمح الخليقة، طلق الكف، سمحٌ ثقة، متواضعٌ رحب الذراع طويل الباع

معتدلٌ، مستصحب الصبر، لا يخفر العهد، متسربل بثياب الجد والاجتهاد، وتخلل ذلك ذكر المرسَل إليه باسم الفقيه ابن مسعود؛

أعني الفقيه ابن مسعود فما حملت ... كمثله المركبان الخيل والنعم
أكرم به من فتى سمحٍ، أخي ثقةٍ ... قد صانه العطِفان الله والرحم

ثم قال:

قد كان مغترفا من بحر عالمنا ... همته الأزهران العلم والحكم
ما علم الناس منه ريبة لا ولا ... يعتده الكسلان العجز والجثم

وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن المرسَل إليه كان طالبا عند شيخ الكاتب أبي موسى عيسى الطرميسى، وأنهما كانا معا زميلان في معهده، وشهد له بالجد والاجتهاد في طلب العلم.

3- مقطوعة من 08 أبيات وصف فيها الكاتب حال المسغبة التي ألمت بهم في ربعهم، قال: "وعمَّنا المجدبان القحط والعدم"، وفيها إشارة إلى أنهم اضطروا إلى الهجرة بسبب ذلك، وصوّر ذلك في أسلوب أدبي، على أنه حوار بين القلب والنفس، في قوله:

قالت له النفس قولا وهي واهية ... لا خانك الساعيان الساق والقدَم
لا تقعدنّ على ذلّ ومرغمة ... قد هُتك المسبَلان الستر والحُرُم
لما رأى السَّغَبَ المضني ألمّ بنا ... وعمّنا المجدبان القحط والعدم
انهلّت العين للتوديع؛ وانتشرت ... من جفنها المزنتان الودق والديم
فقال: لا عن قلىً مني لوصلكم ... خصتكم النعمتان الخصب والديم
لا صدعتْ حدثات الدهر شملكم ... ما أورق المنبتان الطلح والسلم

4- مقطوعة من 09 أبيات ضمنها الكاتب تبليغ التحية للمرسَل إليه ابن مسعود وعصبته؛ وذلك من صحبه الأصفياء، وشكره على إحياء العهد بالوصال رغم بعد المكان وطول الزمان، ثم أعقب ذلك بإخباره عن مصرع الشيخ عيسى الطرميسي ووفاته، وما ترك من ثلمة في العلم والدين، فقال:

إن كنت تسأل عن أحوالنا فلقد ... أودى بنا المتلِفان الشجو والسقم
بمصرع **الشيخ زين الدين سيدنا** ... قد ضمه المكفِتان الترب والرَّجِم

وهتْ قوى الدين لما غاب مفتقَدا يبكي له الخادمان الحبر والقلم
قد كان معتمَدا للدين منتجَدا لمن به المفظِعان الفقر والهرم

5- مقطوعة من 07 أبيات أخبر فيها الكاتب عن قيام الفقيه أبي عزيز بن إبراهيم الباروني (ت:746ه) بخلافة شيخه الفقيد الطرميسي، ومواصلته لمسيرة التعليم؛

فقام من بعده في الناس من رضيتْ بحكمه الأحمران العرب والعجم
حبرٌ سنيٌّ ذكيٌّ سيدٌ ماجدٌ سمحٌ؛ له المطيان الحرم والعزم
ذاك **الفقيه ابنُ إبراهيم** لا قرعَتْ مروتَه الحدثان الموت والعدم
فأصبح الدين قد شُدّتْ دعائمُه ما أَنَّ به القصِمان الهد والعدم

6- مقطوعة من 08 أبيات أغلبها دعاءٌ من الكاتب لأن يغفر الله له، واعترافٌ له بما صدر منه، وسلام منه على الملتزمين بالشرع من أهل دعوته، ثم صلاة منه على المختار سيدنا محمد ﷺ.

7- مقطوعة نثرية من 03 أسطر مع 03 أبيات فيها تعبير بليغ عن وطأة مصاب موت الشيخ الطرميسي، قال: "وبعد يا أخي فإن سألت عن أخبارنا وما آلت إليه أحوالنا؛ اعلم أنه لما قضى الله سبحانه برحيل الشيخ وارتحاله وتلفعه بسربال المنية واشتماله؛ اعترتنا بلابل وأشجان وأرّقتنا وجوم وأحزان؛ فبتنا متململين وعلى جمر الأسى متقلبين".

8- مقطوعة نثرية من حوالي 03 أسطر مع 03 أبيات فيها تعبير عن اليسر الذي كان بعد العسر برحيل الشيخ الطرميسي، قال كاتبها:

بنعمة من الإله تحفها تحت هلال الأمن والإيمان
أحيى الإله بها معالم دينه بتواتر الآلاء والإحسان
في منتمى عز وأفضل حرمة مكلوءة من حادث الأزمان

9- مقطوعة نثرية من حوالي 03 أسطر مع 03 أبيات فيها تعبير شبيه بالمقطوعة السابقة من بيان حسن الحال وتحسن الأوضاع، وكأن ذلك أثر لما ذكره في المقطوعة السابقة، قال كاتبها: "أسنى الله وِجَاح الستر على محافلها، ونظم فيء سلك الالتئام عقد شملها واشتمالها، وفصم عرى النفاق والكفر بحفلها واحتفالها، لإحياء سنن الشيخ وسيره وسلوك منهجه الأغر وأثره"، وهذه الفقرة تتأرجح بين الوصف والدعاء، ولعل رداءة النسخة أو تحريف الناسخ سبب في عدم وضوح ذلك.

10- مقطوعة من فقرة نثرية تتخللها 03 أبيات يشير فيها الكاتب "إلى اضطهاد نفوسة وعشائرها واستيلاء

الظلمة الفجرة على منابرها، فوجدوها دار الذل والهوان، وأوطان من ليست له أوطان، فسنحت بخواطرهم الجزيرة السنية أقطارها، الأعزة قطانها، أعني جزيرة بني يفرن ...تاقت نفوسهم إلى اختبارها واستنشاق روائح رندها، فتسامعت نفوسة بانتقالهم إليها... إلى أن انتهزوا فرص الاختلاس على حين غفلة من الناس، انتقلوا إليها أفرادا والتأموا هناك فخاذا؛ فهم مجتمعون في أطيب بال وأنعم حال". وفي هذا تصريح واضح بفساد أحوال نفوسة السياسية وانتقال بعضهم من مواطنهم طلبا للأمن والسلامة. وكانت وجهتهم –كما ذكر في الجواب– إلى جزيرة بني يفرن وما والاها من قرى ماجر وسكانها، وهي منطقة منيعة شرق جبل نفوسة، عادة ما يلوذ بها أهل نفوسة عند الشدائد والفتن.

11– مقطوعة ختامية في بيتين ضمنها الكاتب التحية للمرسَل إليه وصلاته على النبيء ﷺ.

المطلب السادس: الأبعاد التاريخية للجواب

كشف الجواب عن العديد من الأبعاد التاريخية منها:

1/ شخصية سالم بن مسعود الحامي (حي في 746ه) من أهل الحامة، درس في جبل نفوسة عند الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي بمدرسته بمصغورة.

2/ تعد الحامة وما حواليها من بلاد الجريد جنوب تونس إحدى الحواضر العامرة بالإباضية منذ زمن الدولة الرستمية وما بعدها لقرون، وذكر الوسياني ذلك الإقليم بعبارة: "أهل القصور، وهي قسطالية ونفزاوة"، وبحسب الجغرافيين فإن قسطالية تضم مدن توزر والحامة وتقيوس ونفطة[50]. وللأباضية في ذلك الإقليم تاريخ حافل بالعلم والصلاح، وقد تعرضوا للاضطهاد والسلب وغارات الأغالبة والفاطميين وغيرهم من الأعداء؛ وإلى ذلك أشار الوسياني بقوله: "وليس لهم بلد لم تنهبه المسوّدة"[51].وفي سير الوسياني وكتاب المعلقات فصول جمعت أخبارا لأعلام عاشوا في تلك الأماكن[52]. ومن أبرزهم أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني الحامّي (ت: 358ه)، من بني تيجرت في الحامَّة، وصديقه أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني (ت: 380ه)، من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام وانفرد فيه بآراء متميِّزة، وهو كذلك من أبناء الحامة بقسطيلية من بلاد الجريد[53].

ويؤكد المؤرخون على العلاقات الوطيدة بين جبل نفوسة وبلاد الجريد عموما، وذلك منذ أيام الدولة الرستمية، فهاجر "النفوسيون إلى بلاد الجريد خاصة وأن إخوانهم في المذهب موجودون بكثرة في قفصة، وتوزر، والحامة،

50 – سليمان بن عبد السلام الوسياني، **سير الوسياني**، 1/ 331.

51 – سليمان بن عبد السلام الوسياني، **سير الوسياني**، 1/ 338.

52 – الوسياني، **م ن**، 1/ 331 وما بعدها. **كتاب المعلقات**، ص: 152 وما بعدها، 218 وما بعدها.

53 – مجموعة من الباحثين، **معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب**، الترجمة رقم: 1022، 1039.

وقسطيلية، ونفطة"[54].

وقد برزت بالأخص علاقات في المجال العلمي، وذلك بتنقل الطلبة للتعلم في المدارس وحلقات الشيوخ البارزين، مثاله:

– الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي (ق04ه)، تعلَّم وتفقَّه بسجلماسة صحبة ابن كيداد عند الشيخ ابن الجمع. ولمَّا عاد استقرَّ في قسطيلية بالجريد[55].

– تنقل الشيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي (ت 440 ه) من فرساطاء إلى الحامة للدراسة عند الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل، ثمّ منها إلى قسطيلية قاصِدًا الشّيخ أباعمران موسى بن زكرياء ليأخذ عنه علم الفروع والفقه وذلك سنة 408ه.

3/ رغم ما ورد في المصادر التاريخية من تراجع المذهب الإباضي في الحامة في ق06ه، كما جاء في كتاب الطبقات للدرجيني أنه كان في زمان الشيخ عثمان بن خليفة السوفي ورد الحامة، وليس فيها من أهل المذهب إلا أطلال بالية، ومساجد عامرة كالخالية، لكن ومع ذلك فإن جواب الجيطالي يفيدنا بوجود أتباع للإباضية في الحامة حتى منتصف ق08ه، ومنهم المرسَل إليه سالم بن مسعود الحامي[56].

4/ تعرض جبل نفوسة لتقلبات أمنية كثيرة، كونه أكبر تجمع لأتباع الإباضية في المغرب في العصر الوسيط، فكان هدفا لمطامع قبلية وسياسية، مثل كتامة وزناتة وبني زيري وبني هلال والميورقيين[57]؛ وعبارة الجيطالي في الجواب تفيد "اضطهاد نفوسة وعشائرها واستيلاء الظلمة الفجرة على منابرها"، ولعل ذلك كان من مضايقات الحفصيين حكام طرابلس الذين كان الجيطالي قد لحقه أذاهم بل تعرض لمحاولة اغتيال منهم كما سبق. وهذا يثبت بصورة واضحة ما كان عليه جبل نفوسة من عدم الأمن والاستقرار في حياة الجيطالي بسبب جور الحكام.

5/ تضمن الجواب التصريح بهجرتين لأهل نفوسة وانتقالهم من أوطانهم، الأولى كانت بسبب القحط والمسغبة، والثانية بسبب الفتن وعدم الأمن، وفي ذلك ما يصور صعوبة الحياة وتقلبها عند أهل نفوسة و ما كانوا عليه من شظف العيش، وأنه رغم منعة المكان إلا أن ظروفا قاهرة تحتمهم للانتقال والهجرة، وقد عاصر الكاتب الجيطالي الهجرتين ووصفهما وأبان دواعيهما.

54 – مسعود مزهودي، **جبل نفوسة**، ص 217.

55 – الدَّرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، 1/ 109 – 110.

56 – الدَّرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، 2/ 423.

57 – محمد سعيد البوجديدي وصلاح مسعود الدبلي، **معالم وأعلام جبل نفوسة دراسة تاريخية موسعة**، ص443.

6/ إطلاق لفظة الجزيرة على مكان الهجرة المذكورة في الجواب، كان موهما بالهجرة إلى جزيرة جربة صالتي هاجر إليها الجيطالي نفسه وكانت مستقره في آخر حياته وفيها كانت وفاته ومدفنه؛ لكن عند التأمل في عبارة الجواب يتبين أن المقصود غير ذلك، ونصها: "فسنحت بخواطرهم الجزيرة السنية أقطارها، الأعزة قطانها، أعني جزيرة بني يفرن وما والاها من قرى ماجر وسكانها"، وأصحاب الضمير لعلهم شيوخ العلم، أو هم الذين صرح بهم في نهاية الفقرة السابقة بعبارة: "أخدانك الأصفياء وإخوانك الأوداء"، وثنى عليها بوصفهم شعرا أنهم:

يبنون أمرا سوف يحمد غبه بصفاء نية من الجنان
لا يبتغون من البرية بالذي يحاولون يوما علو مكان
لكن قصدهم وغرض مرادهم بفعالهم طرا رضى الرحمن

وفي عبارة الجواب ما يفيد أن الهجرة كانت بين أنحاء نفوسة، فبنو يفرن من سكان نفوسة، وتوجد مدينة باسم "يفرن" شرق الجبل، وماجر كذلك من أسماء بعض مناطق نفوسة، وهذا بعض التفصيل عن الوجهة المذكورة:

– بنو يفرن من قبائل نفوسة التي عمرت جبلها، وتنسب إليهم مدينة يفرن، الواقعة شرق جبل نفوسة.

– الجزيرة سلسلة جبلية عظيمة الارتفاع تمتد وسط وادي شروس بين منطقة دركل ومدينة شروس، تحيط بتلك السلسلة الجبلية وديان عميقة من ثلاث جهات، ولذلك اعتبرت مثل الجزيرة في وسط وادي شروس، والدخول إليها لا يكون إلا من المنخفض الشرقي بطريق ملتو شديد الانحدار. ونظرا لمنعتها المتميزة فقد اتخذها أهل نفوسة قلعة أمنية للتحصن من هجومات الأعداء. والجزيرة تُدعى في لهجات أهل نفوسة تَدْزِيرْتْ وكذا أَزَّازِيرَا[58].

– وقرى ماجر نسبة إلى بني ماجر (أو مازر بلهجة بعض أهل نفوسة) من فروع قبيلة نفوسة كانوا يقيمون بنواحي زليطن الحالية، وظل اسمهم محفوظاً في واد ماجر بجنوب غرب واحة زليطن. وتوجد بين تملوشايت وتيندميره آثار لقرى ومساكن قديمة تسمى خربة ماجر. ونفس الاسم يطلق على مكان يوجد قريبا من يفرن يسمى حاليا قصر ابن نيران[59]، والظاهر أنه المكان المقصود في الجواب.

لذلك فالمتبادر أن جزيرة بني يفرن هي الحصن المعروف بالجزيرة الواقع على جبال مرتفعة مطلة على

58 – محمد كرير، **رسالة صوتية**، بتاريخ 27/ 05/ 2024م. محمد سعيد البوجديدي وصلاح مسعود الدبلي، **معالم وأعلام جبل نفوسة دراسة تاريخية موسعة**، ص443. لجون ديبوا، **جغرافيا جبل نفوسة**، ص: 320.

59 – محمد كرير، **رسالة صوتية**، بتاريخ 27/ 05/ 2024م. لجون ديبوا، **جغرافيا جبل نفوسة**، ص: 320.

وادي شروس. هذا ما توصلت إليه بعد البحث وسؤال بعض المهتمين، والله أعلم.

نتائج وتوصيات:

1-التراث العلمي للشيخ إسماعيل الجيطالي كبير، فمن ذلك كتبه الشهيرة، ومنها ما لايزال مفقودا، وما كشفت عنه هذه الورقة يدعو إلى الأمل في الكشف عن تراثه المفقود، بمزيد جهود التتبع والتقصي في مظان المخطوطات، بغية الحصول على المزيد، وعلى الأقل العثور على نسخ أخرى من الوصية والجواب.

2-سمحت وصية الجيطالي بالتعرف على جوانب خاصة به، منها حاله المالية والاقتصادية المستورة وسعيه للكسب من خلال مجموعةٍ من الشركات والمعاوضات غالبها في المجال الزراعي (07 معاملات وصفقات)، وملمحٍ عام عن ممتلكاته وأمواله من نقود وأنعام وحبوب وأراض مما ورد ضمن وصاياه في 19 ممتلكا.

3-أتاحت وصية الجيطالي بالكشف عن بعض أفراد عائلته؛ كأخيه أبي بكر المستخلف على وصيته، وزوجته الشروسية التي خصها بوصية حق لها. ومنها استقراره لفترة في قرية تمزدا مما لم يكن معروفا عنه من قبل.

4-ظهر في وصية الجيطالي شخصيته المتسمة بالتحري والتعفف عن أموال الغير وحقوقهم، من خلال ما أوصى به من حقوق الغير وتأكيده على محاللة معاشريه وترضية كل من ادعى حقا عليه.

5-أسفرت الوصية عن اهتمام الجيطالي بالكتب من خلال ما صرح به من عشرات العناوين التي جمعها من مجموعات خاصة ووقفية، وما أفاده من تملكه لمكتبة خاصة أوصى بها وقفا للقراء.

6-من الأبعاد التي أفادتها وصية الجيطالي ما كان يزخر به جبل نفوسة من الزخم العلمي ووفرة المكتبات، وما كان للوصايا الخيرية من آثار مجسدة للتكافل الاجتماعي من خلال الأوقاف والوصايا للمساجد والمتعلمين والفقراء، وكل ذلك كان له نصيب في وصية الجيطالي.

7-من الأبعاد الحضارية في وصية الجيطالي ما اشتملت عليه من أسماء للأماكن (12 اسما) والأعلام (37 اسما)، ما يفيد بصفة كبيرة متخصصي الإيتيمولوجيا (أسماء الأشخاص) والطبونيميا (أسماء الأماكن). إضافة إلى ما اشتملت عليه من أسماء للعملات والقطع النقدية وأسماء المكاييل؛ ما يفتح آفاقا علمية هامة تتعلق بتاريخ جبل نفوسة من مختلف جوانبه.

8-كشف الجيطالي في جوابه عن اسم علم جديد من أعلام الإباضية بالحامة في ق08هـ؛ هو سالم بن مسعود الحامي، وذكر أنه من زملائه في مدرسة الشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي، ووصفه بصفات أخلاقية عالية، وأنه مصقع اللسان نبيه فقيه.

9-جاء جواب الجيطالي في حلة أدبية راقية؛ أكثرها في قالب شعري استهله الكاتب بخمسين بيتا بقافية ميمية، خاتمة كل عجز منها زوج من المترادفات معبر عنها بصيغة التثنية، كقوله: الأصمعان العقل والحرم، المنتان

الأمن والنعم، الأشرفان الجود والكرم، الثقلان الجن والأمم، المركبان الخيل والنعم، وهكذا في نسق محكم السبك شديد الانسجام، ينم عن الثروة اللغوية الهائلة عند الشاعر وقدرته الفائقة على النظم. ونوصي بتخصيص دراسة أدبية مستقلة ومستفيضة لنص الجواب بهدف إبراز جوانب الأسلوب الأدبي للجيطالي وخصائصه.

10-في جواب الجيطالي على رسالة الحامي ما يؤرخ للعلاقات بين جبل نفوسة والحامة من بلاد الجريد ويؤكدها، ويثبت وجود الإباضية بالحامة إلى منتصف ق08هـ على الأقل. كما يؤرخ لمشهد وفاة أستاذ الجيطالي عيسى بن عيسى الطرميسي وخلافة تلميذه أبي عزيز الباروني له في مدرسته.

11-أفاد جواب الجيطالي عن ظروف العيش بجبل نفوسة في النصف الأول من ق08هـ وصعوبتها بسبب القحط والمسغبة ما أدى بهجرة الناس والتنقل من بلدانهم طلبا للخصب. كما أفاد عن سوء الأحوال السياسية بسبب الظلم والجور ما أدى إلى هجرة الناس إلى جزيرة بني يفرن شرق جبل نفوسة.

12-رغم مرور أزيد من 07 قرون على زمن الجيطالي؛ إلا أن وصيته وجوابه سمحا بالكشف عن ملامح وأبعاد جديدة عن حياته الخاصة وعصره وبيئته، ما يدعو إلى ضرورة تكثيف الجهود بغية الحصول على نصوص أخرى من أعماله وغيرها مما لم يتم الكشف عنه.

13-توصي الورقة بضرورة تأمين ما تبقى من آثار مادية تتعلق بأماكن حياة الجيطالي في قرى نفوسة، مما ينسب إليه من مشاهد ومساجد وغيرها، بتوثيقها تصويرا، مع حفظ شهادات كبار السن عليها وكل ما كان من التاريخ الشفوي والروايات الشعبية، التي تعد من مصادر التاريخ، بما لها أهمية بالغة في هذا المجال.

أهم المراجع المعتمدة:

إبراهيم اطفيش أبو إسحاق،

1-الدعاية إلى سبيل المؤمنين.

2-مقدمة تحقيق كتاب الوضع لأبي زكرياء الجناوني.

إبراهيم بن سليمان الشماخي،

3-قصور وطرقات جبل نفوسة.

أحمد بن سعيد الدَّرجيني،

4-طبقات المشايخ بالمغرب، تح: محمد بن إبراهيم طلاي.

أحمد بن سعيد الشماخي:

5-كتاب السير، ط ح.

إسماعيل بن موسى الجيطالي،

6-قناطر الخيرات، ط ح.

7-قناطر الخيرات، قنطرة العلم والإيمان، تح: عمرو خليفة النامي.

8-قواعد الإسلام بحاشية أبي ستة، تح: بشير بن موسى الحاج موسى.

9-قواعد الإسلام، تح: عبد الرحمن بن عمر بكلي.

حمو بن يوسف بن عدون اليسجني،

10-ترتيب لقط أبي عزيز الباروني.

خضير بن بكير باباواعمر،

11-الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي.

سليمان الحيلاتي،

12-رسالة في تقييد حوادث جزيرة جربة.

سليمان بن عبد السلام الوسياني،

13-سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو بن سليمان بوعصبانة.

سناء مهني الباروني،

14-قراءة تحليلية نقدية في شرح إسماعيل الجيطالي للمنظومة النونية في أصول الدين، مقال منشور في مجلة الحياة، ع16.

صالح معيوف مفتاح،

15-جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف ق02ه إلى أواخر ق 03ه، (بحث مرقون).

عبد الرحمن ابن خلدون:

16-العبر وديوان المبتدأ والخبر.

علي يحي معمر،

17-الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 2: الإباضية في ليبيا.

عمرو خليفة النامي،

18-مقدمة تحقيق كتاب قناطر الخيرات للجيطالي.

فرحات بن علي الجعبري،

19-نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة.

لجون ديبوا،

20-جغرافيا جبل نفوسة.

لفيتسكي،

21-دراسات شمال إفريقية.

22-تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم.

مجموعة من الباحثين،

23-معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب.

مجموعة من الباحثين،

24-معجم مصطلحات الإباضية.

محمد أبو رأس الجربي،

25-مؤنس الأحبّة في أخبار جربة.

محمد الشريف،

26-تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري، تقديم وتحقيق. مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، ن الكترونية.

محمد سعيد البوجديدي وصلاح مسعود الدبلي،

27-معالم وأعلام جبل نفوسة دراسة تاريخية موسعة.

مسعود مزهودي،

28-الإباضية في المغرب الأوسط.

مؤلف مجهول،

29-كتاب المعلقات.

الهاشمي الحسين،

30-الحلقة المفقودة من عمارة القصور بجبل دمر، قصور بني خداش نموذجا، (بحث مرقون).

يحي بن أبي الخير الجناوني،

31-كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه.